قلوب عبير

كاترينا بريت

العمليّة

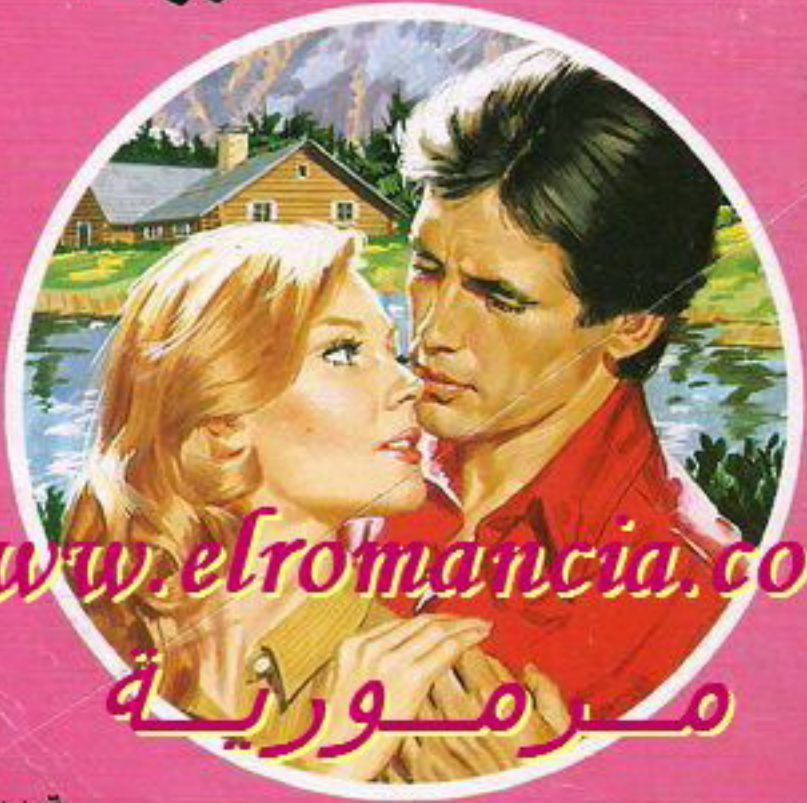

www.elromancia.com
مرمورية

قلوب عبير

HARLEQUIN — "ABIR" — No. K 18

العملية

وجه المرأة صورة تنمو معها منذ الطفولة. فاذا حصل اي شيء لهذا الوجه اضطربت روحها وانقلبت مقاييسها وتشوش ضميرها. وسابينا العروس في شهر العسل لم تكن قادرة على التمتع بشمس منتصف الليل في فنلندا أو بأي جمال تمنحه الطبيعة أو الحياة ما دامت الكدمة في وجهها تقصيها عن زوجها ديفيد سافلون.

انها تنتظر العملية الجراحية التجميلية التي من شأنها ان تفك هذه العقدة، لكن في هذا الوقت تدخلت سلمى... الفتاة المراهقة الصغيرة التي وقعت في حب ديفيد ولم يعد امام سابينا سوى اليأس....

لبنان ١٠ ل.ل.	الكويت ١ د	اليمن ٤ ر	السودان ٨٠٠م
سورية ١٠ ل.س.	الامارات ١٢ د	تونس ١٥٠٠ د	U.K. £ 150
الأردن ٨٠٠ ف	البحرين ١٥٠٠ د	ليبيا ١ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٢ ر	المغرب ٥ د	Greece Drs 200
السعودية ١٢ ر	عمان ١٥٠٠ ر	مصر ١٧٥ ق	Cyprus P 150

١ - الكدمة شوشتها بقوة وكادت تنسيها حسن حظها وجمال الطبيعة من حولها. لكنها نامت واسم ديفيد على لسانها...

انقشعت الغيوم تحت الطائرة فظهرت بحيرة صغيرة فضية، تحيط بها غابة من الصنوبر، ابتهج قلب سابينا امام هذا المنظر الجميل، وشعرت باسترخاء كبير وكأنما تنشقت عطر الصنوبر وهي في الطائرة. لكنها ما زالت تعاني من ثقل وغمّ في قلبها. اغمضت عينيها واسترخت في مقعدها، تلف اصابعها الناعمة، المتوترة، حول عقدة زنارها الضيق.

لم تكن بحاجة للنظر الى خاتم زواجها الذهبي المرصّع بحبات الماس الناعمة، هذا الخاتم الجديد، كالبزة الرائعة التي ترتديها. فهي تعي وجوده بحدة، كوجود الرجل الممشوق، الأسمر، الجالس

قربها. انه ديفيد سافلون، زوجها منذ ساعات معدودة.

امور كثيرة حدثت في وقت قصير: لقاؤهما، مغازلتهما السريعة، غير المتوقعة، وحادث السيارة قرب المطعم اللندني المشهور حيث كانا على موعد للبحث في التحضيرات الأخيرة العائدة الى حفل العرس. منذ اقل من ستة اشهر، دخل ديفيد حياة سابينا، وانتشلها من التعاسة ليضعها في جنة برّاقة. دهشت لكل هذا، وفي الوقت نفسه كانت مذعورة.

وتذكرت سابينا يوم كانت في محل لبيع التحف القديمة، الواقع في منطقة الوست اند اللندنية، كانت يومها تنتعل حذائين عاليين من الجلد الأبيض، اظهرا قدها الممشوق. دخل اليها رجل وسيم، طويل القامة، وقال بصوت عريض:

ـ المعذرة، ربما باستطاعتك مساعدتي. ابحث عن مروحة نمساوية لعمتي التي هوايتها جمع هذا النوع من الأشياء.

نظرت سابينا اليه بعينيها الفاتحتين الواسعتين. كان وجهه نحيلاً ومثيراً، يحتوي على شيء من السخرية. شعره الأسود المجعد كان مشعثاً، وعيناه السوداوان تتأملانها بصراحة غير منتظرة. فقالت لنفسها: يا له من رجل جذاب! كانت نظراته القاتمة تحدق في الابريق الفخاري الذي كانت تحمله بين يديها الناعمتين. وامام هذا السحر، اضطرت سابينا ان تبذل جهداً كبيراً لاستعادة صوتها، وتمكنت من القول اخيراً:

ـ اخشى الا استطيع ان افعل لك شيئاً. فالسيدة سميث، صاحبة المحل، خرجت لتوها، لكنها ستعود بعد قليل.

لاحظت سابينا انه ينظر بفضول الى اصابع يدها. فوضعت الابريق على الطاولة بحركة عصبية، مدركة انه يريد معرفة ان كانت

متزوجة ام لا. دهشت عندما اجابها قائلاً:

ـ سأنتظرها اذن.

ـ السيدة سميث طلبت مني ان ابقى هنا حتى عودتها. وانا اكيدة بانها تستطيع تلبية مطلبك.

بدأ الرجل يجوب في المحل، بقامته الممشوقة وكتفيه العريضتين. وما ان عادت السيدة سميث الى محلها، حتى اسرعت سابينا بالخروج. لكن شاء الحظ ان تلتقيه مرة اخرى، في مساء اليوم نفسه. المطر الشديد فاجأها لدى خروجها من مركز عملها، وبينما كانت على الرصيف المكتظ تسير بسرعة. ارتطمت به كالصاعقة.

كانت ترتدي معطفاً ابيض شفافاً، رافعة قبعته فوق شعرها الاشقر. فتأملته ضاحكة، وقطرات المطر تتدلى على وجهه الناعم. هذا اللقاء الثاني قرر مصير علاقتهما المستقبلية. وفي وقت قصير، اصبحت سابينا تحت سيطرة سحره وجاذبيته الفريدة. وقعت في حب ديفيد قبل ان تعرف شيئاً عنه.

وجوده قربها في الطائرة جعلها تتذكر قوة ذراعيه وابتسامة عينيه وحنان عناقه. شعرت بالاحمرار يعلو وجهها. انه الآن زوجها وشريك حياتها. ديفيد ليس بانسان قلق، وهو لا يمل ابداً. بينما سابينا قلقة منذ وقت قصير، وذلك بسبب الحادث الذي تعرضت له. ومنذ ذلك الحين، وافكار سابينا منصبة كلها على الكدمة في وجهها. الجروح الاخرى شفيت كلها. اجريت لها عمليتان جراحيتان في خدها الايسر، وما تزال الآن في انتظار العملية الثالثة. الجرّاح الذي اجرى لها العمليتين كان فنلندي الجنسية ويقع منزله قريباً من المكان الذي سيمضيان فيه شهر العسل.

ديفيد سافلون مهندس ومستشار. طلبت منه شركته الذهاب الى

فنلندا بمهمة للبحث في مسائل الحفاظ على الطاقة وبقائها. هكذا، ثلاثة اهداف التقت جميعها معاً: رحلة شهر العسل، مهمة ديفيد والعملية الجراحية الثالثة لزوجته. كان بوسع ديفيد ان يؤجل تنقله المهني في فنلندا الى ما بعد رحلة شهر العسل، التي كان يفضل ان يقضيها في بلاد حارة، خاصة ان عروسه سابينا بحاجة للشمس والراحة. لكن هذه الأخيرة لم ترض معه. حتى اختفاء كدمتها، تريد ان تمضي ايامها في مكان هادىء ومنعزل، لئلا يلاحظ وجودها احد. ولهذا السبب وافقت على عرس سريع، خاصة ان والدها تزوج من امرأة لا تحبها ولا يمكن ان تعيش معها تحت سقف واحد.

نسيت سابينا لحظة، وجود الكدمة في وجهها، بينما كانت جالسة باسترخاء داخل الطائرة، مغمضة العينين، وشعرها الأشقر الناعم منسدل على وجهها. لن تستعيد جمالها وبهجتها الا بعد زوال اثر الحادث عن وجهها. شعرها الكثيف الطويل، كسنابل القمح الطرية، عيناها الزرقاوان الواسعتان الضاحكتان، قامتها الممشوقة النحيلة، كانت كلها الورقة الرابحة الوحيدة لديها.

شعرت بالارتياح امام تعبير ديفيد الدافىء. هل يجهل كلياً هموم عروسته؟ كبتت سابينا ارتعاشة عندما خطرت ببالها فكرة فشل العملية الجراحية. فرفعت يدها لتلمس الكدمة بطرف اصبعها، عندما همس ديفيد قائلاً:

ـ بدأت الطائرة بالهبوط. هل انت متعبة؟

ـ قليلاً.

كانت سابينا متوترة جداً. وارادت ان تضع رأسها على كتف ديفيد بحثاً عن الطمأنينة، لكنها عدلت عن ذلك لئلا يقترب من خدها المريض، فمن عادته ان يداعب وجهها.

ـ سأفكر بك، يا سابينا.

هذا ما وعدها به اخوها، يوم عرسها. روبرت كان رجل الشرف في حفل الزواج. فهو مصور فوتغرافي مشهور، عرف كيف يلتقط الصور من دون اظهار خدها المشوه. وسابينا تكن له الكثير. بسببه حصلت على وظيفة، كعارضة ازياء. وفي الثانية والعشرين من العمر كادت ان تكوّن لنفسها شهرة لا بأس بها، لولا ظهور ديفيد على الشاشة. هكذا اصبحت سابينا فارن السيدة سافلون.

انحنى ديفيد ووضع خده الأسمر على خدها ونظر من النافذة، ثم قال:

ـ على اليسار، خلف غابة الصنوبر، استطيع ان ارى سقف الفيللا التي سنسكن فيها. هل ترينها؟

بعد تركيز قصير، اكتشفت سابينا منزلاً منعزلاً قرب البحيرة الجميلة الهادئة وقالت:

ـ انه رائع. هذا لطف من جانب اصدقائك ان يؤجرونا هذه الفيللا.

ابتسم ديفيد وقال:

ـ اليس كذلك؟ الفيللا، والسونا، وكل ما تبقى من وسائل الراحة...

شعرت سابينا بالاحمرار يعلو وجهها امام نظراته المثيرة.

ابتسم وقال:

ـ هنا، كل شيء طبيعي، لا تخافي. السونا تقع في حجرة صغيرة، على ضفة البحيرة، وداخلها لوحات خشبية للجلوس او التمدد عليها. الحرارة المرتفعة تبعث بخاراً بمرور الماء على الحجارة الساخنة. وعندما تصبح الحرارة لا تطاق، باستطاعة المرء حينئذ ان

يخرج ويغطس في مياه البحيرة الباردة.

ابتسمت سابينا بدورها وقالت:

ـ يبدو ذلك صحياً جداً، لكنه محيّر.

وما ان هبطت الطائرة حتى اسرعا الى الخارج، نحو السيارة التي تنتظرهما. امامها يقف رجل اشقر، ممشوق القامة، بشوش الوجه.

ـ ديفيد، سابينا، اهلاً وسهلاً بكما في بلدي. اتمنى لكما اقامة سعيدة وشهر عسل ممتع.

كانت سابينا تعتقد ان ماكس هيلتوسن يصغر ديفيد بحوالى خمس سنوات عندما كان يعالجها في المستشفى في لندن. لكن، في هذا المساء، والشمس تلمع في شعره الاشقر، يبدو اصغر بكثير من ديفيد. عيناه زرقاوان بزرقة قميصه. قبضة يده صريحة، حارة ومضيافة، ولغته الانكليزية ممتازة، وخالية من اي لهجة.

ومن دون اضاعة للوقت، ساعدهما الجراح في وضع الحقائب في صندوق السيارة واقلع. جلست سابينا قرب ديفيد في المقعد الخلفي، تحدق بظهر ماكس هيلتوسن. على الأقل هو الانسان الوحيد الذي لا يزيد ازعاجها فيما يتعلق بالكدمة، كأنه يجهل وجودها كلياً... مسكين ديفيد!

لم تفكر سابينا الا بالسعادة في المستقبل. امسكت يد زوجها وهمست تقول:

ـ حبيبي، لن تصدق، لكنني اخشى الوصول.

ـ تخشين الوصول؟ لكن انت من اراد المجيء الى هنا! ما الذي يخيفك؟ ليس انا، على ما اظن.

ضحك ورمقها بنظرة اثرت بها عميقاً. فقالت له ببساطة:

ـ احبك، يا ديفيد.

انحنى ليعانقها بهدوء، بعد ان احاط كتفيها النحيلتين بذراعيه.

وكالحلم ترى سابينا المنظر يمر امامها. الطريق تتبع البحيرات والمياه البرّاقة. الاشجار والمزارع سحرتها. السير مفتوح تقريباً، ما عدا مرور شاحنة او اثنتين، وبعض الأولاد الخارجين من المدرسة.

بعد قليل انحدرت السيارة نحو اليمين باتجاه امتداد مائي ظاهر وراء الاشجار الكثيفة. واخيراً، ظهرت امامهم الفيللا، حيث توقفت السيارة. خرج ديفيد اولاً وساعد سابينا على الخروج والوقوف قربه. لم يسبق من قبل ان تأثرت بنقاوة الهواء الى هذا الحد. تأملت الفيللا بصمت واعجبت بانحناء السقف فوق هذا البناء الضخم المبني من خشب الصنوبر، وبالسلام التام الذي لا تعكر صفوه سوى زقزقة العصافير.

ـ آه، يا ديفيد انه آخر العالم. انظر الى البحيرة. انها كلها لنا وحدنا!

غمرها وقال:

ـ المكان المثالي الرائع لشهر العسل. لا احد سيأتي ويزعجنا.

ضحك ديفيد لمجرد احمرار وجهها المفاجيء، بينما كان ماكس يخرج الحقائب. فضحكت بدورها، قال لها:

ـ ارتاح عندما اراك تضحكين، يا سابينا. اكملي. الضحك افضل علاج في العالم.

ـ اهلاً وسهلاً بكما الى هذه الفيللا.

ابعد ديفيد ذراعه عن كتفي سابينا عند رؤية امرأة ورجل قرب الباب. الشمس تلمع في رأسيهما الاشقرين وابتسامتهما العريضة. قال ماكس لديفيد:

ـ اظن انك تعرفت الى ايلا وليف فيلستروم، الزوجين اللذين يحرسان هذه الفيللا.

ـ طبعاً. لقد أمضيت هنا بضعة ايام مع اصحاب الفيللا، نيجيل وايما سومرز، خلال اول رحلة قمت بها لتحضير مهمتي الحالية. ولما اعلمتهما عن قرب موعد زواجي، ورغبة خطيبتي في المجيء معي الى هنا في رحلة شهر العسل، اقترحا عليّ استئجار هذه الفيللا خلال اقامتهما في الولايات المتحدة الاميركية.

علّق ماكس قائلاً:

ـ آل سومرز اناس لطيفون. وكذلك ايلا وليف. انا مقتنع تماماً بأنكما ستسران هنا كثيراً.

اقترب ليف وايلا من الضيوف. ملامحهما جميلتان ومرسومتان بدقة ووضوح. وجه ايلا محاط بجديلتين ذهبيتين، وليف، الواقف خلفها، بشعره الاشقر الفاتح وعينيه القاتمتين، المليئتين تعبيراً وسروراً.

عرّفهما ديفيد الى سابينا ببساطة جعلتهما يشعران بالاطمئنان والارتياح. فحياها بلغة انكليزية مترددة، ثم حمل ليف الحقائب وغادرهما ماكس معرباً عن اسفه لارتباطه بعمل دائم في مستشفى هلسنكي.

البرد يسيطر في الداخل. والمدفأة الكبيرة غير مشتعلة، وتحتل الجزء الكبير من الغرفة. الجدران الخشبية اللماعة مزينة بالمشاهد الريفية المرسومة بالألوان الزاهية. الطاولة والكراسي مصنوعة من خشب الصنوبر والوسائد ملونة بمختلف الوان الربيع الزاهية. آلة الخياطة والثريا وما تبقى، كلها تدل على ان الجلوس في هذه الغرفة هو بشكل دائم ومستمر.

تصل هذه الغرفة بغرفة الاستقبال الواسعة التي تحتوي على زاوية سفرة انيقة. نوافذها تطل على حديقة واسعة، وعلى جو مختلف كلياً.

لما دخلتها سابينا برفقة ايلا، تهيأ لها بأن المنزل هذا يشبه امرأة عجوز، قطعت سنوات عديدة من عمرها من دون أن تشعر بمرور الزمن عليها، امرأة عجوز، ما زالت تجد وسيلة تمكنها من الظهور بمظهر جميل، داخل القماش الفاخر والحرير البال والدانتال القديم. اما الخزانة الزجاجية فكانت تحتوي على الآنية الفخارية النادرة والكريستال الثمين، وتتصدر المكان بمرآتها الضخمة المنحوتة بالزهور المذهبة.

التفتت سابينا نحو ديفيد بفرح وقالت:

ـ رائع، اليس كذلك.

تأمل الرجل عينيها البراقتين وفمها المرتجف قبل ان يقول:

ـ معك، في الداخل، نعم.

بدأت ايلا تضحك وتقول:

ـ هذا ما يدعى بالمديح، يا سيدة سافلون. انا مسرورة لأن المنزل يعجبكما. وقبل ان اريكما الغرف، لدي رسالة لأبلغكما بها. اورفو ميكولا اتصل بكما هاتفياً وهذه رسالته.

قطّب ديفيد حاجبيه، ثم ابتسم بحزن لدى قراءة الرسالة وقال:

ـ للأسف، يا حبيبتي، يجب ان التقي بزملائي. هناك مشكلة طارئة، يريدون رأيي بها. لا شك، انك متعبة، يا سابينا، بعد هذه الرحلة. لماذا لا تذهبين الى النوم مباشرة بعد الطعام، فأنا سأحاول العودة باكراً قدر المستطاع.

وضع ديفيد يده على شعرها وضمها اليه وقال:

ـ آه، لقد نسيت ان احملك بين ذراعي لاجتياز عتبة المنزل.

ابتلعت سابينا ريقها وقالت:

ـ لا اهمية لذلك، هنا ليس منزلنا. وبالنسبة الى عملك، انا افهمك تماماً. ارجو ان تسير الأمور كما تريدها انت ان تكون. من جهتي انا، فأشعر بالتعب حقاً.

قاطعتها ايلا، قائلة:

ـ بامكاني ان احمل صينية الطعام الى غرفتك، يا سيدة سافلون. سيد سافلون معي مفاتيح السيارة، طلب مني ان اعطيها لك. اظن انه سبق لك وقدتها خلال زيارتك الأخيرة.

ـ نعم. هيا، يا حبيبتي. سأرافقك الى شقتنا.

حمل ديفيد سابينا بين ذراعيه حتى وصلا الى الطابق الأول. تبعتهما ايلا العاطفية والابتسامة على شفتيها، واسرعت لفتح باب الشقة.

وضع ديفيد زوجته بلطف على المقعد وقال:

ـ لا حاجة لك للاهتمام بحقائبي، سأفرغ محتوياتها لدى عودتي. يريد اورفو مناقشة المشكلة الطارئة في السونا. سأغتسل واغير ملابسي.

كانت الشقة مؤلفة من غرفة واسعة وحمام وغرفة مكتبة. بساط سميك يفترش الارض وستائر الدانتال تتناسق مع غطاء السرير. يا لها من غرفة جميلة وهادئة. كانت سابينا قد خلعت بدلتها وارتدت قميص النوم عندما دخل اليها ديفيد، مستعداً للخروج.

كان معطراً برائحة ذكية تفح منه سرياً. وجهه مبتهج. ضمها بين ذراعيه ليعانقها بسرعة ويقول نائحاً:

ـ انه مؤلم ان ابتعد عنك هكذا. لكننا سنتدبر امرنا، لا تخافي.

قال هذا الكلام وفرّ بسرعة.

وبعد قليل، دخلت اليها ايلا حاملة صينية الطعام، وقالت:

ـ ارجوك ادخلي الى فراشك، يا سيدة سافلون. ستفرحين بالطعام اكثر وانت ممددة تحت الاغطية. آمل ان يعجبك طعامنا. منطقتنا ليست غنية بالخضار الطازجة، لكن ليف يزرعها في الحديقة. طعامنا مؤلف اجمالاً من الحنطة والشعير والذرة واللحم والسمك، وقليلاً من الخضار الطازجة المسلوقة.

اطاعت سابينا وجلست في سريرها ووضعت الصينية على ركبتيها. ثم قالت بفرح عندما رفعت ايلا غطاء الشورباء:

ـ آه، رائحة هذا الطعام ممتعة! ماذا يفعل زوجك ليف، اضافة الى مساعدتك في المنزل؟

ـ يوزع البريد، ويحضر شهادة الهندسة. انه مسرور جداً لوجود زوجك المهندس بيننا.

وبعدما تذوقت سابينا الشورباء، سألتها ايلا:

ـ هل اعجبك طعمها؟

ـ جداً. انها شورباء الخضار، اليس كذلك؟

ـ تحتوي هذه الشورباء على الجزر واللفت والبطاطا وبعض الاعشاب المجففة.

ـ هل تقومين بالطهي، دائماً، يا ايلا؟

ـ زوجي ايضاً يحب الطهي الجيد. لقد تزوجنا منذ سنتين فقط. قبل ذلك، كان ليف يعمل لأعالة والدته الأرملة واخويه الصغيرين، لذلك اضطر الى مغادرة المدرسة، باكراً. ومنذ سنتين تزوجت والدته مرة اخرى من رجل أعمال ثري يعيش في هلسنكي، العاصمة. واصبح منذ ذلك الوقت ليف حراً للزواج مني. اتمنى لك السعادة، كما نحن سعيدين جداً.

ـ هذا ما اتمناه انا ايضاً.

احبت سابينا الشورباء كثيراً، وبعد ان انتهت منها، سألت ايلا:

ـ لا شك انك على علم بالكدمة التي في وجهي.

ابعدت سابينا شعرها الى الوراء لأظهار الكدمة واضافت تقول:

ـ لا تقولي بأنك لم تلاحظي شيئاً.

نظرت ايلا الى الكدمة بهدوء ورفعت كتفيها ولم يتغير تعبير وجهها.

وسألت:

ـ هل هذه الكدمة تشغل بالك وتعذبك؟

ـ طبعاً. انها بشعة للغاية!

وضعت ايلا صحن الحساء الفارغ جانباً، وجلبت مكانه صحناً آخر، وقالت بفلسفة عميقة:

ـ انها ليست بشعة كما تتصورين. عيناك الزرقاوان تطغيان عليها.

ـ هذا لطف منك، يا ايلا. لكن الكدمة ما زالت مكانها.

فقالت لها ايلا محاولة طمأنة الفتاة:

ـ يجب على الكدمة ان تبقى مكانها، على وجهك، وليس في قلبك... واعذري تطفلي لكن هل الجراح ماكس هيلتوسن هو الذي عالجك؟

ـ نعم، وهو اكيد بأنه قادر على ازالتها.

ـ ما دام يقول ذلك، يعني بانه سيحقق ما يقول. رجالنا يعملون بصدق وتحفظ ولا يتباهون بانفسهم ابداً. السيد هيلتوسن جراح كبير ولك الحظ ان تكوني مريضته. لكن، هل يزعجك ان تخبريني كيف حدث لك ذلك.

ـ كنت على موعد مع ديفيد، وكان ما زال خطيبي يومها، في احد المطاعم بغية البحث بالتحضيرات الأخيرة لزواجنا. فوصلت قبله

ببضعة دقائق. في هذه الأثناء، ارتطمت سيارة قربي بعامود الكهرباء وتكسر زجاجها وحطم وجهي. وصل ديفيد في الوقت نفسه مع سيارة الاسعاف.

ـ آه، هذا امر محزن. لكن من حسن الحظ انك ما تزالين على قيد الحياة. هل ينوي السيد هيلتوسن اجراء عملية لك في هلسنكي؟

ـ لا اعرف. يجب اولاً ان استعيد نشاطي وصحتي. هذه التجربة وترت اعصابي كثيراً.

ـ انا مقتنعة بذلك.

ـ هل السيد هيلتوسن متزوج، يا ايلا؟

ـ كلا. انه يعيش مع والدته في منزل يقع على الضفة الثانية من البحيرة. وبامكانك رؤية منزله من النافذة. منذ قليل اعطيت ديفيد رسالة من اورفو ميكولا. فقد كان الجرّاح مخطوباً لأخته، كيرستي. ليست ساحرة الجمال، انما فتاة لطيفة جداً. الجميع فوجئوا باختياره هذا، هو المحاط بالعديد من النساء الجميلات. لكن في ما بعد فسخت الخطوبة. وذهبت كيرستي الى هلسنكي حيث تعمل كممرضة.

ـ ماذا جرى؟

ـ لا احد يعرف بالضبط.

التعب قطع شهية سابينا، لكن وجود ايلا قربها، ورغبتها في ارضائها جعلها تتذوق الوجبات التي احضرت خصيصاً لها. اكلت قطعة اللحم كلها مع قليل من البطاطا المسلوقة. كما اصرت على ايلا ان تشاركها في احتساء القهوة.

شعرت سابينا بالارتياح لاهتمام ايلا بها، فسألتها عن السونا. فابتسمت الفنلندية وقالت:

ـ لا تستعملي السونا اذا كنت لا ترغبين. من جهة ثانية، لماذا لا تفيدي من وجودها؟ سأشرح لك كيفية استعمال السونا عندما تصبحين مستعدة لذلك. لكن نحافتك ليست بحاجة الى السونا، التي اعتبرها الوسيلة الأكيدة للمحافظة على الجسم النحيل والرشيق.

بعد خروج ايلا، ظلت سابينا ممددة وعيناها تحدقان في سقف الغرفة. انها بحاجة ماسة الى الراحة، فالحادث دمر اعصابها، وتوتر نهار العرس لم يساعد على استرخائها.

الزواج لا يكفي لحل المشاكل الحالية. بينها وبين الشفاء، توجد هذه الكدمة. التعب والانزعاج والتوتر والشعور بانها مركز فضول الآخرين، كل ذلك لن يزول الا بزوال آثار الحادث كله نهائياً. انها الأن لا تشعر بأنها الزوجة الشابة، ليلة عرسها، المشتاقة لتكون بين ذراعي زوجها. بل هي متأكدة ايضاً بأن تشويه وجهها اثر على ديفيد وعلى علاقتهما. وكانت تتقلص كلما لامس خدها الايسر، او طبع عليه قبلة عابرة.

رفعت شعرها الى الوراء واحست بجبينها قد تبلل. لا سبب للخوف. اغمضت عينيها. الصمت تام والسرير مريح. التفتت سابينا باتجاه المكان الذي سيحتله ديفيد لدى عودته، وشعرت بغصة في قلبها عندما تذكرت، ان الشمس في فنلندا، وفي هذا الفصل من السنة، تلمع طيلة الليل. آه، لو لم يكن ديفيد مضطراً للذهاب الى عمله، لتناولا العشاء معاً، في الخارج، وتمشيا على ضفاف البحيرة حيث تملأ المكان روعة شمس منتصف الليل. اغرورقت عيناها بالدموع.

تشوشت افكارها ولم تعد تفكر الا بديفيد الذي تحب اكثر من اي

شيء آخر في العالم. وتساءلت عما يفعله في هذه اللحظة: هل يفكر فيها؟ شكت بالأمر. لماذا تفكر فيه بقوة وكأنه موجود قربها. بامكانها تقريباً ان تتنفس رائحته.

اخيراً، نامت سابينا واسمه على لسانها.

www.elromancia.com

٢ - كان ينقصها الشك كي تكتمل دورة مشاكلها، فقد التقت سلمى سومرز على ضفة البحيرة ولم يكن الحوار بين المرأتين مطمئناً بالنسبة الى سابينا، لكن النهار حول البحيرة لم يكن سيئاً الى هذا الحد. . .

استيقظت سابينا في غرفة مضاءة بأشعة الشمس وشعرت بالارتياح والطمأنينة. الستائر المخرمة ما تزال مفتوحة والمنازل المجاورة التي تقع على ضفة البحيرة، بعيدة مسافة كبيرة. التفتت الى يسارها ولاحظت في الحال ان ديفيد لم ينم قربها خلال الليل. لكنها وجدت منه رسالة صغيرة على منضدة الزينة.

ارتدت مئزرها الحريري وتوجهت نحو النافذة. البحيرة تلمع في الصباح الهادىء. حدقت بالأفق البعيد، فوقع نظرها على الفيللا المقابلة، فيللا ماكس هيلتوسن، وتساءلت في نفسها عن حال والدته. هل كانت هي سبب فسخ خطوبته؟

في هذه اللحظة بالذات، خطر في بالها انه من الممكن ان يكون ديفيد قد نام على اريكة غرفة المكتبة. فاجتازت غرفة النوم بهدوء وفتحت باب الاتصال. لا وجود لأي حركة. لكن ما ان دخلت الى المكتبة حتى عرفت ان زوجها نام هناك خلال الليل. الوسائد مكدسة على الكنبة ولا شك انها استعملت كمخدة تحت رأسه. كما ان مئزر ديفيد قد علق على ظهر الكرسي.

فتحت سابينا الخزانة ووجدت ملابس ديفيد معلقة فيها. لمحت بينها بزة الصيد الرمادية، وملابس الرياضة، وبزة سهرة مخملية. فتخيلت زوجها الوسيم، الأنيق، وشعره الأسود المجعد وابتسامته الساخرة.

رق قلبها حيال ذكراه، فتوجهت الى منضدة الزينة لقراءة الرسالة:

«المعذرة يا حبيبتي. المناقشة مع زملاء العمل بدأت في السونا بعدما اقنعوني بأنه المكان الوحيد للاسترخاء والتحدث بحرية تامة. لكن للأسف لم نتوصل الى اتفاق فيما بيننا. الظاهر ان الفنلنديين لا يختلفون عن غيرهم في ما يتعلق بمعارضة مشروع مهم ورائع. عدت في الساعات الأولى من الصباح وقررت ان انام في غرفة المكتبة، خوفاً من ازعاجك، لأنك كنت في حاجة الى النوم والراحة. وكنت ما تزالين نائمة في الصباح عندما اضطررت الى مغادرة الفيللا. ارجو ان نتوصل اليوم الى اتفاق، بسبب القرض الضروري لتحقيق هذا المشروع. الى اللقاء، يا حبي. ديفيد».

كأنه اراد ان يقول لها: تصرفي وكأن الليلة الفائتة لم يكن لها وجود. منذ الحادث وسابينا تبحث عن الهدوء والسكون، لكن الخوف جلّد روحها. بطبيعتها، لم يكن لها اي ميل للهستيريا، لكن

الآن، يتهيأ لها انها لم تعد قادرة على السيطرة على اعصابها. فقررت ان تأخذ دوشاً لعلها تستعيد هناءها وطمأنينتها.

وفي الحمام، شاهدت فرشاة شعر ديفيد ومعدات الحلاقة، واحست بانفعال غريب... هذه الاغراض بدت حميمة لها، كأنها تشارك حياة ديفيد من زمان، مع العلم انها ما تزال عذراء في ليلة زواجها الأولى....

لما خرجت من الحمام، دخلت اليها ايلا وقالت:

ـ ما رأيك ان تجربي السونا، في غياب زوجك؟ سأشرح لك جميع مراحل العملية، واذا كنت لا تريدين الغطس في ماء البحيرة الباردة، ستجدين وعاء مليئاً بالماء قربك.

وافقت سابينا وظلت جالسة على الحجارة الساخنة بينما كانت ايلا ترش الماء الغالية بغية احداث البخار. ثم راحت تفرك جسمها بليفة سميكة من جذوع شجر البتولة. الغطس في مياه البحيرة كان رائعاً. بعد قليل، جلست على مائدة الفطور، مبتسمة لأيلا، ومؤكدة بأنها لم تشعر بالارتياح والبهجة مثل الآن.

نظرت ايلا الى الوجه المبتهج بالصحة وقالت:

ـ تبدين في حالة رائعة.

تأملتها سابينا وهي تقطع شرائح الخبز المصنوع من الذرة، قبل ان تضع قطع الزبدة على صحن صغير. وبارتياح راحت ايلا تتحدث الى سابينا في لغة انكليزية مترددة قائلة:

ـ تحدثت مع السيد سافلون، في الصباح، قبل ذهابه الى العمل. وكان موضوع الحديث يتعلق بالطعام. فقال لي انه شخصياً يحب المطبخ الفنلندي، لكنه طلب مني ان احيل هذا السؤال على حضرتك. ما رأيك، يا سيدة سافلون؟ فصل الصيف هنا ليس فعلاً

فصل الخضار الطازجة. وذلك بسبب الطقس البارد طيلة فصل الشتاء. حتى خبزنا يختلف عن الخبز الانكليزي.

وباقتناع صريح، اجابت سابينا:

ـ انا ايضاً احب المطبخ الفنلندي. لقد احببت طعام الأمس، وهذا الخبز الذي بين يديك يبدو لذيذاً مع الزبدة الكريمية. في كل حال، من عادتي ان اتصرف واعيش مثل سكان البلد الذي ازوره. والا ما الفائدة التي نجنيها من السفر؟

ـ هذا ما قاله لي السيد سافلون. لم يكن يبدو مسروراً لمباشرة عمله اليوم. لكنه قال لي بانه سيحاول ان يعود وقت الغداء.

ـ اذن، سأفعل حتى موعد الغداء، ما يروق ويطيب لي!

ترددت سابينا قبل ان تضيف قائلة:

ـ لاحظت وجود مرفأ للبواخر. هل تعتقدين انه بامكاني الحصول على مركب صغير واجتياز البحيرة الى الضفة الثانية؟

ـ طبعاً. وليف سيهتم بذلك. الضفة الاخرى ليست بعيدة. وهناك بامكانك العثور على مطعم حيث تستطيعين الجلوس فيه واحتساء القهوة او الشاي، او اي شيء آخر. انصحك بالشاي، لأنه افضل وارخص ثمناً.

ابتسمت لها ايلا بلطف كأنها تريد ان تقول بأن الضيفة تعجبها، لأنها تعرف ان تتقبل مصيرها بوعي وفلسفة وحكمة. يا لحظها السيء! زوجة شابة، متروكة وحدها، في فترة شهر العسل! ونظرت الى سابينا التي كانت تتأمل البحيرة ببهجة واعجبت بشعرها الاشقر المنسدل على كتفيها النحيلتين فوق قميصها الحريري وتنورتها الكتانية المعقودة على الخصر بزنار جلدي يظهر نحول قوامها.

كان ليف ينتظرها قرب المركب بعدما حمل معه من الفيللا بعض

الوسائد. ابتسم لها بخجل وقال وهو يساعدها في الصعود:

ـ هل انت متأكدة بأنك قادرة على قيادة هذا المركب وحدك، يا سيدة سافلون؟

ـ نعم، وشكراً لك لجلب هذه الوسائد.

امسكت سابينا المجذافين، ودفع ليف المركب بيده وانتظر بضعة لحظات للتأكد من انها تعرف قيادته، ثم اشار لها بيده مودعاً وتوجه الى الفيللا. الماء الخالية من اي تموج تلمع تحت الشمس كالحرير. رائحة الصنوبر الذي ينمو على ضفاف البحيرة كانت منعشة. لم تكن سابينا تنوي الذهاب بعيداً. بل كانت بحاجة الى بعض الوحدة. جمال المنظر امامها حبس انفاسها. لو كان ديفيد معها، لأحست كأنها في الجنة. لكن لا يجب ان تفكر بديفيد الآن، قبل موعد الغداء. المركب في حال جيدة والمجذافان سهلا الاستعمال وتخيلت سابينا انها تتقدم الى ما لا نهاية.

اوقفت سابينا المركب قرب خليج صغير يقع على الضفة الثانية، ورأت عدداً كبيراً من الفتيان يغطسون من زوارقهم ويسبحون بمرح. شعرت بنظراتهم تحدق فيها بغرابة. فادارت لهم ظهرها واذا بها ترى شخصاً في طريقها. ابتسم لها ماكس هيلتوسن وقال:

ـ سيدة سافلون، لا تلوميني على تدخلي المفاجيء. لكن عندما رأيتك تأخذين هذا الطريق، فكرت بأن علي ان اقدم مساعدتي.

ـ هذا لطف منك وانا اشكرك كثيراً. كنت انوي التنزه، وربما تناول القهوة في المطعم، ثم العودة الى الفيللا من دون عجلة.

ـ لماذا لا تأتين الآن لزيارتنا. منزلنا يقع على مسافة قريبة جداً من هنا. والأفضل لك ان تجوبي المحلات برفقة زوجك الذي سيفرح بدفع ثمن مشترياتك.

ضحكت سابينا ومدت له يدها ليساعدها على الصعود الى الشاطيء. ثم تأبط الجراح ذراع مريضته بنعومة، فقالت له:

ـ اضطر ديفيد على التغيب اليوم. الظاهر انهم يجدون صعوبة في اطلاق هذا المشروع الكبير.

طمأنها قائلاً:

ـ كل شيء هكذا في البداية. لا يمكن لمؤسسة مهمة تحترم نفسها، ان تصل الى اهدافها، بلمح البصر. وانت، كيف تشعرين؟ هل ما زالت الكوابيس تلاحقك؟

ـ كوابيس الحادث زالت، لكن هناك كوابيس العملية الجراحية الثالثة.

في الحال ادركت بأن كلامها هذا يعني بانها لا تثق بالجراح. فأضافت تقول، مغيرة موضوع الحديث:

ـ لقد استمتعت بالسونا كثيراً. انه اختراع رائع.

سألها بعينين تلمعان بسخرية:

ـ هل قمت بهذه التجربة برفقة ديفيد؟

احست بوجهها يشتعل احمراراً وقالت:

ـ كلا، ذهب ديفيد الى عمله في الصباح الباكر، عندما كنت لا ازال في الفراش.

ـ ارجوك، لا تشعري بالانزعاج، بخاصة في ما يتعلق بحقائق الطبيعة. فاذا تقاسمت مع زوجك متعة السونا، تساعدين بذلك نفسك للتخلص من كبتك. انت امرأة جميلة، ويجب ان تكوني فخورة بذلك. ماذا يفعل، برأيك، الانسان الذي يولد مشوهاً؟

ابتسمت بحزن وقالت:

ـ هل تجدني انسانة انانية جداً؟

ـ لا، ابداً. تجربتك الأخيرة كانت صعبة وخرجت منها منتصرة. لكنك وحيدة جداً. ليس جميلاً ان تستسلمي للأفكار المحزنة. سأتحدث مع زوجك عن ذلك.

وضعت سابينا يدها على ذراعه ونظرت اليه بقلق وقالت:

ـ لا، ارجوك، لا تفعل ذلك! عدني شرفاً. انا من اراد التوفيق بين رحلة العسل ورحلة العمل. بينما هو كان يريد ان اذهب للنقاهة في بلد حار. ببساطة، لا اريد ان ازيد همومه في الوقت الحاضر. المشروع الذي يعمل عليه سيؤثر على مستقبله المهني.

ـ وزواجك؟ لا اهمية له؟

ـ بلى. وديفيد اول من يقول ذلك. لكنني لا اريد ان ابلبل مخططاته الحالية، من اجلي انا.

ـ اذن، عليك الاختلاط اكثر بالآخرين، وعدم البقاء وحيدة مدة طويلة. ما رأيك بجولة داخل مستشفى هلسنكي لمجرد نظرة وحسب؟ انا متأكد بأنك ستجدين ذلك مثيراً.

ـ ليس الآن.

ـ اذن، تعالي الى المنزل، لاحتساء الشاي.

ـ ليس لدي وقت كاف لذلك، لأنه علي العودة الى الفيللا في موعد الغداء. والحقيقة، لا اريد ان ازورك من دون ديفيد الذي وعدك بتناول العشاء عندك في يوم من الأيام.

ابتسم لها متفهماً واقترح عليها قائلاً:

ـ اذن، لن ترفضي احتساء القهوة معي في المطعم. لا اقبل اي عذر. ما دمت لم تأت الى هنا من قبل.

لم تعارض سابينا ابداً ورافقته الى المقهى المطل على البحيرة. في احدى زوايا المطعم شاب وسيم يعزف على البيانو مقطوعة وهمسات

الربيع». ومصابيح غريبة تضيء الطاولات والخادمات المبتهجات حيوية، يرحن ويجئن باستمرار والابتسامة على الشفاه.

وبينما كانا يحتسيان القهوة، بدأ الطبيب يحدثها عن فنلندا والبحيرات العديدة المتنوعة والغابات الشاسعة، التي كانت في الماضي، ملاعب للصيد للمجتمع الارستقراطي الروسي. ولم تحس سابينا بمرور الوقت، لكنها نهضت فجأة، على مضض، كي تصل الى الفيللا في موعد الغداء.

رافقها ماكس الى المركب وساعدها على الجلوس ودفعها داخل البحيرة. وظل واقفاً على الشاطىء يتأملها وهي تبتعد. فتهيأ لسابينا انه رجل وحيد. هل هو نادم على فسخ خطوبته؟

ولدى اقترابها من الضفة الثانية، لمحت فتاة تنتظرها، فتاة لم يسبق ان رأتها من قبل. تبدو ملامحها قلقة، رغم المسافة التي تفصلها عنها. كانت سمراء، ذات عينين قاتمتين وشعر اسود قصير. ولما وصلت الى محاذاة الشاطىء، ادركت ان هذه الفتاة جذابة اكثر مما هي جميلة. انفها معقوف جزئياً وملامح وجهها ناعمة جداً. كانت ترتدي قميصاً من دون اكمام وسروال من القماش الحريري الكريمي اللون. على كتفها سترة حمراء، والأسوار الذهبية تزين ذراعيها. تنبع من شخصيتها عجرفة هادئة. اعطتها سابينا سبعة عشر عاماً من العمر. كانت هذه الفتاة تحدق بسابينا مفصلاً، الى ان لمحت الكدمة في خد المرأة فقالت بطريقة مباشرة:

ـ هاي، مرحباً. هل انت سابينا فارن؟

ـ انا اليوم سابينا سافلون، هل اعرفك؟

ـ اذن، انتهى به الأمر الى الزواج منك؟

قطبت سابينا جبينها وامتلأت عيناها بغيمة قاتمة، بعد هذا النهار

المبهج وسألتها مبتسمة:

- عمن تتكلمين؟ عن ديفيد؟

- طبعاً. لم يحدثك عني، على ما اظن. اسمي سلمى سومرز، ابنة صاحب الفيللا.

- آه، انه لقاء غير منتظر. كنت اجهل ان آل سومرز لديهم ابنة. لا شك انك على علم بأن والديك اجرّانا الفيللا لمدة ثلاثة اشهر.

- اذن، ديفيد لم يحدثك عني؟ عنا؟

هذه الكلمة الاخيرة رنت في اذن سابينا بطريقة مقلقة. فتجمد الدم في عروقها، لكن الهدوء المسيطر حولها ساعدها على القول ببطء ولطف:

- عماذا تريدينه ان يحدثني؟

- جاء ديفيد الى هنا، قبل اسبوع من زواجك، ووقعنا في حب بعضنا البعض.

ضحكت سابينا وقالت:

- تعنين بذلك انك وقعت في حب ديفيد. ما عمرك، يا سلمى؟

- سأبلغ الثامنة عشرة عما قريب.

- وتميلين الى ديفيد. اعرف انه جاء الى هنا، لكن وقته كان ضيقاً ليبحث عن مغامرة عاطفية. كل وقته كان مخصصاً لعمله. وها هو قد تزوجني الآن.

بدأت سلمى ترتجف وتزم شفتيها من شدة الغضب، ثم قالت:

- تزوجك ديفيد بفضل كرم أخلاقه، لأنه يعتبر نفسه مسؤولاً عن الحادث الذي تعرضت له. وبرأيك، أي سبب آخر يجعل رجلا مثل ديفيد يتزوج من فتاة مشوهة؟

أشارت بنظرها نحو الكدمة على خد سابينا، وعيناها تلمعان

قسوة واحتقاراً. رجعت سابينا الى الوراء كأنها تلقت ضربة مميتة، وقالت:

- تزوجني ديفيد لأنه يحبني. زواجنا لم يكن بحاجة الى رغبة جارفة وحاجة الى المغامرة. انه أعمق من ذلك بكثير. سيأتي يوم وتدركين ذلك. أنا أيضاً، عندما كنت في سنك، وقعت في حب الرجال، كمعظم الفتيات، لكن ذلك لم يدم طويلا.

بهذا الكلام لم تكن سابينا تقصد شراً. لكن سلمى فقدت السيطرة على نفسها، وصرخت تقول:

- انت امرأة وقحة! تعتبرينني فتاة طائشة! لكنني اعرف اموراً اكثر منك. هل نظرت الى نفسك في المرآة؟ عليك ان تتأملي نفسك ملياً وبامعان اكثر وتسأليها: من يتزوجني مضطراً غير ديفيد سافلون بداعي الاخلاق والشرف؟

حتى هذا الكلام كانت سابينا قادرة ان تسيطر على اعصابها، لكن تعبير وجه سلمى المسموم، وكلماتها القاسية اثرا بها كثيراً، فقالت بصوت متردد:

- انت فتاة خطيرة وتتهمين زوجي بأمور غريبة. ابقي وتناولي الغداء معنا، لنوضح الحقيقة بصورة نهائية، وبوجود ديفيد، طبعاً.

بدا ان آمال سلمى تحطمت، اذ قالت بنبرة كريهة:

- وماذا سيبرهن هذا التحقيق. لن يبوح لك ديفيد بالاسباب الحقيقية التي دفعته للزواج منك. اعرف بانه سينعتني بالفتاة المجنونة، الحمقاء، ثم سيضحك من ذلك، بعد قليل. لكن انت، لن تعرفي ابداً اذا كان يحبك، ام لا.

ادارت سلمى ظهرها باتجاه الطريق العام ورحلت. واصيبت سابينا بالذعر وتساءلت اذا كان الذي حصل الآن مجرد حلم سيء

ام واقع مرير. جرحت كرامتها عميقاً الى درجة انها لا تستطيع ان تتجاهل ما حدث... بل انها كانت متوترة، جامدة، ترتجف من رأسها حتى قدميها.

عادت الى الفيللا بطريقة آلية وتوجهت نحو المطبخ. لا سيارة في الخارج، يعني ذلك ان ديفيد لم يعد بعد. كانت ايلا منهمكة في تحضير الغداء ووضع اللمسات الأخيرة على فطيرة محشوة بالأرز والجبن.

ولدى وصول سابينا قالت:

ـ لم يصل السيد سافلون بعد. هل قمت بنزهة موفقة؟

ـ نعم، شكراً. تركت المركب مربوطاً على الشاطىء لاستعماله من جديد. هل كل شيء على ما يرام؟

ابتسامة ايلا الصادقة والبشوشة ساعدتها على تهدئة اعصابها المتوترة فأجابت بسرعة:

ـ نعم. في اواخر النهار سيضع ليف المركب مكانه.

ـ كنت اجهل ان للسيد والسيدة سومرز ابنة. لقد التقيت بها قرب البحيرة.

قالت ايلا مندهشة:

ـ التقيت بسلمى هنا، قرب البحيرة؟ لم ارها داخل الفيللا. اين هي الآن؟

ـ لا اعرف. لقد رأيتها ذاهبة. لماذا لم تأت الى هنا؟ انها ما تزال صغيرة للبحث عن المغامرة.

ـ لا تشفقي عليها، سيدة سافلون. المفروض ان تسكن عند عمتها، في هلسنكي، الى حين عودة والديها من الولايات المتحدة الأميركية. هل تعرفين كيف جاءت الى هنا؟

هزت سابينا رأسها وقالت:

ـ لم ار اي سيارة قرب الفيللا.

ـ ربما جاءت برفقة احد اصدقائها. لديها اصدقاء عديدون في هلسنكي. انها طالبة في الجامعة، لكن المؤسسات التعليمية جميعها مقفلة بسبب العطلة.

ـ لكنها فتاة شديدة الجاذبية.

ادركت سابينا انها تقول حماقات، لكنها تريد ان تعرف شيئاً من الحقيقة، فأضافت تقول:

ـ اظن ان زوجي التقى بها في زيارته القصيرة، قبل زواجنا.

ـ نعم، كانت سلمى تقضي عطلة الاسبوع هنا مع والديها. واراد آل سومرز اصطحابها معهم الى اميركا، لكنها رفضت مرافقتهم، بغية البقاء وحدها، في هلسنكي، عند عمتها طبعاً.

ـ لكن لماذا لم تأت الى هنا؟ انت وزوجك بامكانكما الاهتمام بها على احسن وجه.

ـ السيد سومرز يفكر بأن لا مكان لشخص آخر، تحت سقف واحد، مع رجل وامرأة يقضيان شهر العسل.

ـ الأمر شديد الغرابة. لم يحدثني ديفيد ابداً عنها، ما دام قد تعرف اليها في اقامته الأخيرة هنا، اتساءل لماذا لم يأت على ذكرها اطلاقاً.

هزت ايلا كتفيها وقالت:

ـ لا شك انه اعتبر الأمر من دون اهمية. كان يحب مناكدتها، معتبراً اياها فتاة وقحة ولعوب. عندما ذهب آل سومرز الى اميركا، بقيت سلمى تحت رعاية عمتها في هلسنكي. فالأقرباء لهم تأثير اكبر عليها، وباستطاعتهم معاقبتها اذا اقتضى الأمر، وهذا ما لا يحق لنا ان نفعله.

www.elromancia.com

- فهمت جيداً ما تعنين.

لم تظهر ايلا عن فرحها لدى ذكر اسم الفتاة، ابنة صاحب المنزل. كما لم تحزن لأن سلمى لم تزعج خاطرها بالمرور والسلام عليها. فسألتها سابينا بصراحة:

- هل تحبين سلمى، يا ايلا؟

- من حين الى آخر. منذ وقت قصير لم اكن احبها ابداً. ويبدو انه من الأفضل للجميع ان تكون بعيدة.

- فهمت. سأصعد الى غرفتي واغيّر ملابسي. آمل الا يتأخر زوجي عن موعد الغداء. ارهقت نفسك بما فيه الكفاية، من اجل تجهيز الطعام.

صعدت سابينا الى غرفتها وتوجهت بسرعة الى الحمام حيث غسلت وجهها الملتهب بالماء البارد. خلعت ملابسها وارتدت فستاناً بسيطاً من القطن المعرق بالازهار الصغيرة والمعقود على خصره بزنار ضيق. وبينما كانت تسرّح شعرها الذهبي الناعم، ادركت ان بينها وبين سلمى سومرز فرق شاسع. لا وجود لأي صفة مشتركة بينهما. لون بشرتهما، وقامتهما وشخصيتهما كلها مختلفة كلياً.

في الوقت الحالي، لا شك ان سلمى في طريق عودتها الى هلسنكي. ندمت سابينا لاعتبار ما لمحت اليه سلمى امراً جدياً، كما لامت نفسها لأنها لم تصر عليها ان تبقى وتردد ما قالته امام ديفيد. كان من الأفضل تصفية هذه المشكلة في الحال، بدلاً من تركها تضني قلبها وتعذبها.

لكن من جهة اخرى، ما قيمة حبها لديفيد اذا لم تكن تثق به؟ عليها اذن ان تبدأ بنسيان هذا اللقاء، وكذلك نظرات سلمى الوقحة على وجهها المشوش...

سمعت سابينا محرك السيارة، فنظرت الى ساعة يدها. وفي هذه اللحظة بالذات كان ديفيد قد صعد السلالم بسرعة وضم زوجته بين ذراعيه وعانقها، ثم قال:

- آسف على تأخري. اضطررت لتذكير زملائي بأنني جئت الى هنا في رحلة شهر العسل ايضاً، وبأن زوجتي بانتظاري.

ثم دخل الى الحمام واخذ دوشاً سريعاً، وظهر امامها بسروال وقميص مفتوحة، منتعلاً صندلاً خفيفاً. وقال:

- تعالي. انت وانا سنعوض عن الوقت الضائع.

على مائدة الطعام، كان ديفيد في مزاج رائع، يهنىء ايلا على طعامها اللذيذ، ويسأل زوجته عما فعلته في الصباح. فاخبرته عن اجتيازها البحيرة على متن مركب صغير قادته بنفسها بواسطة المجذاف، ثم عن لقائها بماكس وقالت مبتسمة:

- رفضت دعوته الى المنزل، ورؤية والدته، لأنني افضل ان ازوره برفقتك.

كانت سابينا تنظر الى زوجها المليء صحة وعافية وتتذكر الانفعال نفسه الذي كان يختلجها كلما كانت على موعد معه بعد لقائهما الأول. كانت تشعر بغبطة وفرح كبير كلما كانت قربه، في السيارة، او في المطاعم، لحضور مباريات الروغبي وكرة القدم، للتنزه في الحدائق او حضور الافلام والمسارح. واندهشت لأنه اصبح الآن جزءاً منها. لكن هل هي ايضاً جزء منه؟ زواجهما حصل بسرعة، لكن ما اهمية ذلك؟ قبلاته التقليدية بعد مراسيم الزواج لم تكن حارة، هل لأنهما كانا محاطين بالعديد من الناس؟ لكن هناك الكدمة، ومنذ الحادث وهو يعاملها بتحفظ شديد، كأنها قطعة من الخزف الثمين... قال لها:

- آه، كان يجب عليك قبول دعوة ماكس وزيارة السيدة هيلتوسن، يا حبيبتي. لا شك ان ماكس حدثها عنك وعن وجودك هنا، وارسلت وراءك. منزلها جميل ويطل على منظر رائع وغريب.

- هل تعني بذلك انها رأتني وانا اجتاز البحيرة في المركب؟ لم يخطر ذلك ببالي.

احمرت سابينا بينما كان ديفيد يحدق بها مفصلاً ويتأمل شعرها الطويل المنسدل على كتفيها. اخفضت نظرها، ثم قالت:

- ديفيد، لماذا لم تخبرني بأن السيد سومرز لديه ابنة تدرس في الجامعة في هلسنكي؟

- لم اخبرك بذلك؟

- كلا، لكنك تعرف.

- اذن، ربما نسيت.

وضعت سابينا سكينها وشوكتها جانباً، تاركة جزءاً من الحلوى في الصحن، اذ فقدت قابليتها فجأة. وبحركة عصبية تناولت كأسها، ثم اضافت تقول:

- ليس بالضبط. هذه الفتاة جذابة، واستغرب لماذا لم تحدثني عنها.

قال بنبرة ساخرة:

- هل شاهدت صورتها؟

- اي صورة؟

- صورتها الجديدة، المعلقة في الصالون، فوق البيانو.

اشار باصبعه الى الغرفة المجاورة. صحيح ان سابينا لاحظت وجود بعض الصور العائلية داخل الصالون، لكن لم يتسن لها بعد ان تتفحصها عن قرب. فقالت:

- هل سنرى سلمى خلال اقامتنا الحالية؟

هز ديفيد كتفيه وقال:

- ربما لا.

- هل رأيتها بعد وصولنا؟

ابعد ديفيد صحنه الفارغ بقسوة وقال:

- ما هذا؟ تحقيق؟

في تلك الاثناء ظهرت ايلا حاملة صينية القهوة. فقال لها ديفيد:

- شكراً، لقد انتهيت. وسأتناول القهوة الآن.

وقفت ايلا فاغرة الفم لحظة قبل ان تتمكن من القول:

- الن تتذوق البوظة؟ تريد قهوة فقط؟

بدأت سابينا تفهم انه كان عليها ان تحدث ديفيد عن لقائها بسلمى. فبين الرجل وزوجته، لا وجود للأسرار، بخاصة اذا كانت ستجعلهما تعيسين، حزينين. لكن، ديفيد هو اول من رفض احترام هذه النظرية.

وبينما كان ديفيد يحتسي القهوة ببطء، سألها:

- كيف وجدت المركب هذا الصباح؟ مريحاً؟ هل تحبين الخروج مرة اخرى، الى البحيرة، بعد ظهر اليوم؟

- لا ارى اي مانع. المركب مريح وسهل الاستعمال.

كان صوتها ينقصه الحماس. هل سيحدثها عن سلمى خلال هذه النزهة؟ الفكرة التي تضايقها في الوقت الحاضر، ليست علاقة ديفيد بسلمى، انما كون ديفيد لا يحب المرأة التي تزوجها. ربما، بعد العملية الجراحية، لنفترض انها نجحت، سينفصل عنها؟ او انه سيشعر من جديد بواجب الشرف ويبقى معها؟ سابينا اكيدة من حبها له، الى درجة انها ستجاهد للحفاظ عليه. لكن كيف تناضل

www.elromancia.com

من اجل حب غير موجود؟

اشعل ديفيد سيكاراً، ثم سألها:

- هل تشعرين بالتعب، وتفضلين عدم الخروج، بعد الظهر؟

- كلا. انا لست متعبة. لا تعاملني وكأنني فتاة معاقة.

بعد قليل همست تقول:

- سامحني، ارجوك.

- هذا اقل شيء افعله لك. هيا نذهب اذن؟

ظل ديفيد بعيداً عن زوجته طوال الطريق حتى وصلا الى المركب. حينئذ مد لها يده ليساعدها على الصعود. كانت يده حارة ومرتجفة. بعد ان تأكد من جلوسها المريح وسط الوسائد، راح يدفع القارب بالمجذاف. اغمضت سابينا عينيها واستسلمت لنقاوة الجو وهدوئه. بعد قليل، فتحت عينيها، لتلاحظ انها ابتعدت عن الشاطىء. كانت الماء كالمرآة تعكس المراعي المجاورة قال ديفيد فجأة:

- المنظر من هناك جميل جداً. دعينا نذهب الى المغاور العديدة التي يمكننا دخولها. الا اذا فضلت اجتياز البحيرة من جديد.

- الجمال هنا ساحر فعلاً.

- لست اذن نادمة على المجيء؟

- كلا، وانت؟

- انا؟ كلا.

ابتسمت وقالت:

- ولماذا اندم على المجيء؟ فانت هنا والفيللا التي نسكن فيها رائعة. واحب ليف وايلا، وماكس هنا لأجراء العملية الأخيرة لوجهي.

في الحال عضت على شفتيها وسألته:

- اذا نجحت العملية، هل تظل تريدني؟

- اننا متزوجان، على ما اظن؟

ادار ظهره نحو الضفة وراح يجذف باتجاهها قبل ان يضيف قائلاً:

- من الأفضل ان نتنزه قليلاً.

تأملته سابينا وهو يوجه المركب نحو كومة اشجار قرب الشاطىء. ثم نزل ديفيد من المركب وشده نحو الضفة وساعد سابينا على مغادرته وقال:

- والآن، لنعتبر اننا سنبعد عنك المخاوف. ما هو سبب همومك؟ هل قال لك ماكس شيئاً، صباح اليوم؟

- كلا، انه رجل متفهم واكنّ له معزة كبرى.

- ليس اكثر مني، على ما اظن.

كان ديفيد قد وضع يديه على كتفيها، وادار وجهها نحوه بلطف. ثم رفع رأسها ونظر في عينيها مباشرة. تنفست سابينا بعمق وسرعة حتى كادت تختنق. لم تستطع النطق خاصة عندما رأت رأسه ينخفض ويحجب عنها النور، ثم يعانقها بشغف ونعومة. شعرت بالاطمئنان والارتياح، وتمنت ان يدوم عناقه لها الى الابد، حتى لا تبقى وحيدة مع افكارها.

كان ديفيد يعي ما يدور في ذهن زوجته، فضحك منتصراً وحملها بين ذراعيه واخذها الى مكان مليء بالعشب الأخضر، في ظل الاشجار. هناك، استلقى قربها، وراح يداعب شعرها ويعانقها. فجأة مرت طائرة فوق رأسيهما محدثة ضجة قوية. ووجدت سابينا انها في ضيق كبير، وفي ثوان معدودة، تخلصت من قبضته ووجدت نفسها تركض، مليئة بالخوف. لم تهرب فقط بدافع الخوف، انما لأنها لا تريد ان تهبه نفسها وجسمها قبل ان تعرف الأسباب الحقيقية التي

دفعته للزواج منها. كانت تركض كالطير، لكنه التقطها بسرعة. جذبها اليه وهمس يقول:

- سابينا، حبيبتي المسكينة.

ابتعد الخطر، فتقوقعت سابينا على صدره وراحت تجهش بالبكاء. دموعها لا علاقة لها بمرور هذه الطائرة المفاجيء. لكن الضجة فجرت فتيلة يأسها واشعلتها. وظل ديفيد يضمها الى صدره حتى استعادت هدوءها. ثم قدم لها منديلاً وسألها:

- هل تشعرين بتحسن؟

مسحت عينيها وقالت بضعف:

- المعذرة. لقد بللت قميصك.

- هذا ما يعجبني فيك، يا حبيبتي. تهتمين دائماً بالآخرين قبل ان تفكري بنفسك. هل يزعجك شيء ولم تحدثيني عنه؟

اجابت بقسوة:

- بامكاني ان اطرح عليك السؤال نفسه.

ضحك لصراحتها وقال:

- يجب فعلاً ان نكون دائماً صادقين تجاه بعضنا البعض. لكن، اهم ما في الأمر، هو رغبتي القوية في السهر عليك. انه ربما ضعف من جانبي، لكن لا تنسي انني زوجك، يا حبيبتي.

نظرت اليه سابينا نظرة حب كبير وسألته بانزعاج:

- انا لا اتصرف كما يجب، اليس كذلك؟

كانت ترتجف، فوضع ذراعه حول كتفيها وقال:

- لننس ما حدث ولنعد الى الفيللا لاحتساء الشاي.

عادا الى المركب واقلعا في طريقهما الى الفيللا. قال ديفيد:

- ما رأيك لو نأخذ الشاي في الحديقة. انا اذهب الى المطبخ

واجلبه، بينما تصعدين انت الى الغرفة وتغسلين وجهك. اتفقنا؟

هزت سابينا رأسها موافقة، من دون ان ترفع نظرها نحوه. ولما وصلا الى الشاطىء، اسرعت سابينا الى شقتها بينما كان ديفيد يربط المركب. في منتصف الطريق توقفت سابينا لدى سماعها رنين الهاتف. دخل ديفيد في الوقت نفسه واجتاز الصالون ورد على الهاتف.

لما وصلت سابينا الى غرفتها، بدأت الشكوك تراودها من جديد. هل سلمى تحدثه على الهاتف الآن؟ لامت نفسها وراحت تغسل وجهها بالماء البارد. ثم سرحت شعرها ووضعت بعض الزينة على وجهها وبعض الكحل على عينيها المتورمتين، ثم ارتدت فستاناً ابيض خفيفاً.

كان ديفيد يضع الصينية على طاولة في الظل عندما خرجت الى الحديقة. جلست على الكرسي خائفة مما يمكن ان يحدث. قدم لها فنجان الشاي وقال:

- يعجبني فستانك كثيراً. خذي كلي هذا السندويش. يبدو انه لذيذ الطعم.

تناولت المرأة السندويش وشرعت تأكله لقتل الوقت. لكن ديفيد كان يحتسي الشاي ببطء ويتأمل الماء الشفافة، واشعة الشمس تعكس نورها على وجهه البشوش. شعرت سابينا بالضعف وهي تنظر اليه، فالتفت نحوها وقال بنبرة كسولة:

- هل تشعرين بتحسن لنخرج في المساء؟

- ماذا تعني؟

- يعني ان نذهب الى العشاء. اورفو ميكولا يدعونا الى العشاء في منزله مع اخته كيرستي.

ـ اورفو وشقيقته فقط؟ هل هناك احد غيرنا مدعو؟

ـ لا احد. اعرف ماذا تشعرين وسط الناس، في هذه المرحلة. لقد اتصل اورفو الآن. الظاهر ان شقيقته تعمل في مستشفى في هلسنكي وتأتي ليوم واحد في الشهر تزور اخيها.

كادت ان ترفض الدعوة لولا ان الفضول تغلب عليها. لا شك ان اورفو على علم بالكدمة في خدها. وهي تحب التعرف الى كيرستي بخاصة لأنها كانت خطيبة ماكس هيلتوسن.

انهت السندويش ولحست طرف اصبعها وقالت:

ـ هل تعرف ان ماكس كان خطيب شقيقة اورفو في الماضي؟

ـ كلا. هل هذا يعني بأنك تقبلين الدعوة؟

ضحكت وقالت:

ـ هل تعتقد بأنني سأذهب فقط، بداعي الفضول، لرؤية خطيبة ماكس القديمة؟

ـ سأكون سعيداً لقبولك الدعوة.

ابتسم من دون سخرية واضاف يقول:

ـ تعرفين انني اشتقت الى سابينا فارن. التي افضلها اكثر على سابينا سافلون الحالية.

احست سابينا بشعور بالذنب، مع ان صوت ديفيد كان ناعماً ولا لوم فيه. فقالت:

ـ المعذرة. انا مهمومة كثيراً حيال العملية الثالثة. ديفيد، اذا فشلت العملية، فلن اتمكن من احتمال ذلك.

ـ كل شيء سيتم على احسن وجه. لا تبالي. قولي لنفسك باننا سنقضي سهرة جميلة. لا تتراجعي ابداً امام الهموم. بل واجهيها، وستجدين بأنك لست تعيسة جداً.

شعرت سابينا بالاطمئنان لكلماته المشجعة، خاصة عندما وضع يده الحارة بيدها المرتجفة. وكادت ان تطرح عليه الاسئلة فيما يتعلق بسلمى، لكن يكفي ما عاناه اليوم بسببها، بعد ازمة البكاء الحادة التي سيطرت عليها، منذ قليل.

www.elromancia.com

٣ - المغامرة مستمرة بين سلمى وديفيد، سؤال طرح نفسه بقوة وفي وقت كانت سابينا تحلق فيه على اجنحة الحب... سؤال قض مضجعها وخرّب احلامها الحزينة!

اورفو ميكولا وشقيقته كيرستي انسانان لطيفان جداً. اورفو اشقر اللون، يضع نظارتين رماديتين امام عينيه العسليتين، بينما كيرستي سمراء اللون، نحيلة وانيقة، تتمتع بعينين سوداوين وشعر بني غامق.

بدأت السهرة ببهجة واسترخاء. ديفيد يتحدث بحماس مع زميله اورفو حول المشروع الجديد، تاركاً سابينا تتعرف على كيرستي بحرية، قبل ان يحين موعد العشاء. قالت كيرستي:

ـ كنت انتظر بفارغ الصبر ان اتعرف اليك، يا سيدة سافلون. كيف تجدين بلدنا؟

بالصدفة او عن سابق قصد، لم تقع نظرات كيرستي ولا مرة واحدة، على خد سابينا المشوه. اجابت العروس:

ـ احببت هذا البلد كثيراً. الطبيعة خارقة الجمال.

تلألأت عينا كيرستي وقالت:

ـ في شهر العسل، كل شيء يبدو جميلاً، اليس كذلك. آمل ان تكوني قد شفيت كلياً.

ـ نعم، ما عدا الكدمة في خدي.

شعرت سابينا بارتياح كبير للتحدث عن هذا الموضوع امام الفتاة، من دون انزعاج، فأضافت تقول:

ـ ما زلت بحاجة الى عملية جراحية ثالثة واخيرة.

نظرت اليها كيرستي بهدوء وقالت:

ـ حظك كبير. انت جميلة الى درجة ان الكدمة بالكاد مرئية. لو حصل ذلك معي انا، لكنت منفّرة.

احتجت سابينا بعنف وقالت:

ـ كلا. انا اكيدة بأنك كنت انتصرت عليها اكثر مني. انا اكره هذا التشويه في وجهي واجد صعوبة في انتظار موعد العملية. وعدني ماكس ان يجريها لي عما قريب.

احمرّت الفتاة الفنلندية وقالت:

ـ ماكس؟ تعنين ماكس هيلتوسن؟

ـ نعم. لا اعرف ما كنت اصبحت لولاه. انت تعرفينه من دون شك، ما دام جارك.

ـ كنا صديقي طفولة.

حدقت كيرستي بكأسها وتابعت:

ـ هل زرت هلسنكي، سيدة سافلون؟

ـ كلا. انتظر ان يتسنى لي الذهاب اليها برفقة ديفيد.

قبلت سابينا بابتسامة ان تغير الحديث، لأنها شعرت بأن الفتاة الفنلندية لا ترغب في اطالة الحديث حول ماكس هيلتوسن، الذي كان خطيبها، في ما مضى. ماذا جرى بينهما، يا ترى؟ لا شك ان فسخ الخطوبة امر نهائي. ما عمر كيرستي؟ ربما حوالى الثلاثين؟ هذا العمر يفرض على المرأة ان تكرس حياتها لمهنتها. يا للأسف، يبدو ان كيرستي تتحلى بصفات الأم الصالحة: النعومة والهدوء. لا شك ان المرضى يحبونها كثيراً.

نصحت كيرستي ضيفتها ان تقوم بنزهات في البحيرات العديدة، وغابات الصنوبر، والتمتع بشمس منتصف الليل ولمعانها الغريب في شهري ايار وحزيران/ مايو ويونيو.

خلال الطعام، لاحظت سابينا ان الأخت واخيها يحبان بعضهما البعض كثيراً. وبعد صمت قصير، قالت كيرستي:

ـ لا اعرف لماذا لا يبحث اورفو لنفسه عن زوجة لطيفة.

قهقه اورفو وقال:

ـ مهنتي تملأ حياتي كفاية، ولا تسمح لي ان افكر بالزواج. انا سعيد هكذا.

صرخت كيرستي قائلة:

ـ هل سمعتما، كيف يفكر اخي. ماذا يجب ان افعل مع اخ مثله. انا دائماً حرة في عطل الاسابيع، ولا اعمل خلالها في المستشفى، ومع ذلك لا اراه. لو كنت متأهلاً، يا اورفو، لأصبحنا، انا وزوجتك، صديقتين عزيزتين.

تلألأت عينا كيرستي بشدة، واضيء وجهها الذي بدا اكثر جاذبية وسحراً. وتمنت سابينا في الحال، ان يكون ماكس هيلتوسن

هنا في هذه اللحظة.

قال ديفيد بكسل:

ـ ما دمت تريدين بعض الرفقة، لماذا لا تخرجين مع سابينا، بينما اكون في العمل. ستسعدها رفقتك، انا متأكد جداً من ذلك.

اجابت كيرستي بفرح:

ـ يا لها من فكرة جيدة! لكنكما لا تريدان الانهماك بانسان ثالث خلال شهر عسلكما.

قاطعتها سابينا قائلة:

ـ اتفقنا، يا كيرستي. كما قال ديفيد، سأكون مسرورة جداً ان اخرج معك في الأيام التي تربط ديفيد في عمله.

انتهت السهرة على مضض. وامضت سابينا وقتاً ممتعاً وعبرت عن ذلك لكيرستي قبل وداعها. فقبلتها كيرستي قائلة:

ـ سأتصل بك غداً قبل ان آتي لاصطحابك في سيارتي. سنمضي نهاراً جميلاً. انا سعيدة للتعرف اليك والى زوجك.

في طريق العودة، كان ديفيد يقود السيارة بصمت. الطريق امامهما مضاء بشمس منتصف الليل، التي كانت تنير الاشجار، محولة الليل الى نهار.

اسندت سابينا رأسها على كتف ديفيد وهمست تقول:

ـ يا لهذا الضوء الغريب الرائع. انه جميل جداً وسرّي...

لما وصلا الى الفيللا، اوقف ديفيد المحرك ونظر الى زوجته وقال:

ـ لنذهب في نزهة صغيرة قبل ان نصعد الى الفراش.

ضحكت وقالت:

ـ السهرة كانت لطيفة ورائعة.

ـ انت لطيفة ورائعة، سيدة سافلون.

انحنى ليعانقها، فشعرت بالحنان يلفها... لا شيء له وجود خارج ديفيد، الذي اضاف يقول:

- تعالي. سأوقف السيارة في وقت آخر.

من بعيد، على الضفة الثانية المواجهة كانت المراكب راسية واصوات الضاحكين تتعالى في الهواء الحار. شعرت سابينا بقليل من العذاب عندما امسك ديفيد يدها وضغط بنعومة. في هذه اللحظة اختفى قلقها وبدت لها الحياة بسيطة. تعرف ان ديفيد يتمتع بموهبة حلّ جميع المشاكل والمواقف الصعبة والدقيقة. انه انسان منفتح للأفكار الجديدة، يسمع اكثر مما يناقش يتقبل ايقاع الحياة الهادئة البطيئة والعادات الغريبة والأصدقاء الجدد، وحبهم للضيافة.

لكن، بالنسبة اليها، ليس هذا سهلاً. يد ديفيد تبعث فيها ارتعاشات اخذت تجتازها كالتيار الكهربائي. حتى الآن، لم يكونا سوى صديقين حميمين... بانتظار ما سيحدث...

- اذن، سيدة سافلون، هل توافقين بأن هذا المكان هو المكان المثالي لشهر العسل؟

توقفا قرب ضفة البحيرة وادارها ديفيد بلطف نحوه وابتسم لها، ثم ضمها بين ذراعيه وهمس يقول:

- انتظرت هذه اللحظة طوال النهار.

راح يعانقها بشغف، ثم يرفع رأسه ليتأمل بصمت الفرح الصادق المرسوم على وجه زوجته. بدت عيناه القاتمتان حينذاك سوداوين كالفحم ورأته سابينا جذاباً كاليوم الأول للقائها به في محل التحف القديمة. لكن الكدمة في وجهها اخذت اهمية كبيرة في حياتها الحالية، وحفرت هوة في كيانها. فمن جهة هي خائفة، قلقة

وشاحبة، ومن جهة اخرى، تصبح حارة، وحنونة، مليئة امتناناً لقدرها الذي وضعها معه وجهاً لوجه.

بين ذراعيه، لا تفكر بسلمى ولا بحالتها العصبية. انما تفكر بالحب، الحب الشغوف، الحب الدائم. بعد قليل ستصبح جزءاً من ديفيد وستفقد قليلاً من هويتها الخاصة. ستكون له كلياً. لكن هل سيكون لها كلياً؟ رفضت ان تصغي الى الشكوك التي تعذبها. وفي هذه اللحظة بالذات، همس في اذنيها بصوت مخنوق:

- تعالي، نعود الى المنزل.

بسعادة كبرى دخلت سابينا الى الفيللا تاركة ديفيد يوقف السيارة في المرآب. اجتازت الممر وسمعت رنين الهاتف. دخل ديفيد بينما تناولت السماعة، ثم قالت:

- المكالمة لك.

صعدت سابينا السلالم كالعمياء.

انها سلمى تطلب التحدث الى ديفيد. دخلت سابينا الى الغرفة الصامتة واصابتها ارتعاشة حزن بالرغم من الشمس الساطعة في الغرفة. اقتربت من النافذة واطلقت العنان لأفكارها السوداء. قبل لحظات كان عطر الليل المضيء يخدرها، ممزوجاً بخفقات قلبها السعيد، خاصة عندما كان ديفيد يهمس لها الكلمات الناعمة الحنونة.

لم تعرف كم من الوقت مضى على وجودها قرب النافذة. اعادها صوت ديفيد الى الواقع. وضع يده على كتفها وقبّل شعرها. حبست سابينا انفاسها. سيحدثها الآن عن المكالمة الهاتفية وعن سلمى بالذات. فقالت له:

- اذن، هل ستضطر غداً الى التغيّب، ام سنمضي النهار معاً؟

ـ غداً؟ هل تعرفين، يا حبيبتي، ان منتصف الليل قد انقضى، ونحن الآن في الغد؟ في الحقيقة، سأذهب غداً لحضور مؤتمر مهم لا يمكنني ان اتغيب عنه. لكن، لماذا هذا السؤال؟

الظاهر انه لا ينوي ان يحدثها عن المكالمة الهاتفية، فقالت له:

ـ المكالمة الهاتفية، لم تكن من اجل المؤتمر، طبعاً لا، بعد منتصف الليل؟

ـ آه، هكذا اذن!

راح يقهقه ضاحكاً ثم اضاف:

ـ اكيد لا. في منتصف الليل حتى اهم سكرتيرة في العالم تكون قد انهت اعمالها. المكالمة ليس لها اهمية.

ـ اذن، لماذا حدثت هذه المكالمة، اذا كان لا سبب لها؟ الا تستطيع الانتظار حتى نهار غد؟ آه، نسيت اننا الآن قد اصبحنا في هذا الصباح. آه، كم انا متعبة.

ـ طبعاً، يا صغيرتي. لن استبقيك مطولاً. هل تريدين مساعدتي لخلع فستانك؟

رجعت سابينا الى الوراء وقالت:

ـ شكراً. سأتدبر امري بنفسي.

كان قد وصل الى عتبة غرفة المكتبة عندما استجمعت سابينا شجاعتها وقالت:

ـ تصبح على خير، الى الغد.

توقف ديفيد امام الباب، وران صمت ثقيل، قبل ان يتكلم بصوت محايد:

ـ ولأي سبب ترفضين مساعدتي؟ انا زوجك، اليس كذلك؟

التفتت اليه وتأملت كتفيه العريضتين ووركيه النحيلتين،

فانعقدت حنجرتها ولم تستطع القول الاّ:

ـ نعم.

كان صوتها مليئاً بالألم. فقال لها:

ـ انه فوق قدرتك ان تحبيني، اليس كذلك؟ اليس عندك ما تهبينه لي؟

ـ بلى، لدي الكثير اهبه لك، لكن...

تلعثمت، فقال بجفاف:

ـ لكن ماذا؟

ـ انا بحاجة لبعض الوقت. فكل الذي حصل حتى الآن حدث بسرعة... انا ... انا متوترة... مضطربة...

وضعت سابينا يديها المرتجفتين على وجهها، فاقترب منها وامسك بمعصميها وارغمها على سحب يديها وقال:

ـ منذ قليل، كنت تتجاوبين مع عناقي، وكان يبدو ذلك مهماً بالنسبة اليك.

ـ انه مهم جداً بالنسبة اليّ. حاول ان تفهمني. لا يمكنني ان اتحمل فكرة اهانتك او جرح شعورك... لقد... انا بحاجة لبعض الترتيب في افكاري. اليس ممكناً ان نبقى الى هذا الحد في علاقتنا... لمدة قصيرة...

ابعد يديه عنها كأنه لم يعد يستطيع لمسها وقال بقسوة:

ـ كان مفروضاً بك ان تختاري زوجاً يحبك اقل مني. انا اقدر حقوقك لكن، برأيي الصريح، الحقوق غير واردة داخل الزواج. لأن الزواج عطاء الذات الحر، المتفق عليه. كل ما يجري بين الرجل والمرأة يجب ان يكون مبنياً على فعل الحب، وليس على فعل الواجب.

قالت سابينا مرتجفة:

- ربما في اعماق نفسي، اعتبر ان زواجنا حصل بسرعة.

- وهذا ما افكر به انا ايضاً. والاّ، لما كنت هنا اتناقش معك. كنت اصبحت زوجتي في الواقع، كما انت زوجتي امام القانون. لكن لا، هذا مستحيل. هل تعرفين لماذا؟

امسكها بكتفيها كأنه يريد ان يخضّها، ثم قال:

- لأنني لا اريد ان امتلكك هكذا. عندما تعطيني جسدك وروحك، يكون ذلك بارادتك انت وليس بحجة الشغف. انا لست قديساً، والسماء شاهدة على ذلك. لكن، فيما يتعلق بنا، كل شيء يجب ان يحصل كما قلت لك. في الوقت الحاضر، انا اشاطرك الرأي. حاولي ان تكوني بعيدة عن نظري، قدر المستطاع، فأنا لست سوى انسان حي.

ابعد ديفيد قبضته عنها فجأة، فترنحت ووقعت على السرير. ولما اغلق باب غرفة المكتبة وراءه، احست سابينا بوحدة غريبة. رفضه التحدث اليها عن المكالمة الهاتفية وعن سلمى لا يمكن الا ان يعني شيئاً واحداً: مغامرتهما ما زالت مستمرة.

ابعدت سابينا رأسها جانباً ووضعته على ذراعها المرتجفة، وراحت تبكي والعذاب يمزق قلبها. وبقيت على هذه الحال مدة طويلة، تنتحب وتتلوى، الى ان سيطر عليها النعاس وغطت في نوم عميق.

٤ - لماذا يجب ان تنتهي كل سهرة بصدمة؟ ام انه قدرها الذي وضع في طريقها سلمى سومرز وجعل الحياة ضارية لا تطاق...

استيقظت سابينا من نومها في صباح اليوم التالي، وانصبّت افكارها في الحال على حوادث ليل امس. فشعرت في بادىء الأمر بغضب عنيف حيال ديفيد، واتهمته بعدم الصدق. وسلمى التي سببت لها آلاماً عميقة عندما ظهر مقتها لوجهها المشوه. انها ما تزال صغيرة لتعرف معنى الشغف الحقيقي، لكن ديفيد لا شك، بسحره وحيويته، احدث في نفس الفتاة اضطراباً كبيراً.

ردة الفعل الأولى التي شعرت بها سابينا كانت ان تترك زوجها، لأنه بدا واضحاً لها انه لا يحبها. لكن، اذا تركته، الن تسيء الى مشاريع مستقبله. عليها ان تفكّر بمهنته، وحظه في النجاح سيفوته

اذا افترقا الآن رسمياً. والذين سيحكمون على الوضع سيفكرون بأنه رجل غير مستقر ولهذا السبب تركته زوجته في رحلة شهر العسل. لكن، هل تتخلى، هكذا بسهولة، عن كل ما يجعل حياتها سعيدة، عن احلامها، عن آمالها . . . لن تصبح زوجة رجل لم يتزوجها الاّ بدافع الواجب. . . انها لا تسمع اي حركة في الحمام او في غرفة المكتبة. نظرت الى ساعة يدها: انها التاسعة. لا شك ان ديفيد استيقظ باكراً وذهب لحضور المؤتمر.

كانت نظراتها ضائعة ووجهها شاحباً عندما دخلت اليها ايلا حاملة صينية الفطور وقالت مبتسمة:

ـ صباح الخير، سيدة سافلون. آمل ان تكوني قد امضيت ليلة جيدة. قال لي السيد سافلون انك ما تزالين نائمة، وطلب مني ان اجلب لك الفطور في التاسعة، لأنك تمضين النهار خارجاً مع صديقة لك.

نسيت سابينا كيرستي، وقالت وهي تتناول الصينية من ايلا قائلة:

ـ يا الهي، نعم!

وصلت كيرستي بسيارتها حوالى العاشرة. كانت ترتدي فستاناً من القطن البني، وتضع حول عنقها عقداً من اللؤلؤ، وفي اذنيها اقراطاً بيضاء. بشرتها الناعمة لوحتها الشمس، وفي عينيها السمراوين بريق جوزي عسليّ. شعرها الغامق، ذو بريق عنّابي، يجعلها شديدة الجاذبية.

ولما خرجت سابينا للقائها، قالت كيرستي:

ـ هل جئتك باكراً؟ زوجك اقترح عليّ ان امرّ بك حوالى العاشرة.

اخفت سابينا دهشتها وسألتها:

ـ اتصل بك ديفيد، صباح اليوم؟

ـ نعم، الم يخبرك بذلك؟

ـ كنت ما ازال نائمة عندما غادر الفيللا. جلبت معي بزة السباحة، في حال احتجت اليها.

ـ هذا رائع. وانا جلبت معي ايضاً سلة مأكولات باردة، حتى يتسنى لنا البقاء خارجاً طيلة النهار.

كان فرحاً كبيراً قيادة السيارة عبر هذا المنظر الرائع، على هذه الطريق المكشوفة، كأنها تصل الى السماء. وكيرستي تجتاز الجسور فوق البحيرات، ووسط الغابات والمزارع. بعض المروج الخضراء تحتوي على طاولات وكراسي من خشب، مجهزة بمراحيض وصنابير مياه للشرب، لمن يريد ان يمضي نهاره خارجاً، مع عياله واولاده وحيواناته. . . التلال غير مرتفعة العلو، والبحيرات ليست عميقة، لذلك فالشمس تدفىء المكان بسرعة وبسهولة.

توقفتا امام بحيرة تقع على طرف غابة حيث الهواء ممتلىء بشتى العطور. تنفست سابينا بعمق، فرحة بأن البحيرة فارغة الا من مركب صغير يرسو جانباً تحت السماء الزرقاء. الماء هادئة، دافئة، ودخلتها سابينا بفرح كبير. وبعد قليل كانت المياه تحيطها من كل جانب. راحت تسبح مع كيرستي.

بعد ساعة، جلستا على شاطىء البحيرة تحتسيان العصير البارد وتأكلان السندويشات الجاهزة اللذيذة الطعم، التي احضرتها كيرستي معها. فجأة تذكرت سابينا ديفيد، الذي لا يتمتع مثلها بالهواء الطلق والطقس الجميل، بل هو مضطر للبقاء في الداخل لحضور المؤتمر. لكن فرحها الحالي لن يدوم طويلاً، لأنها كانت تتألم

من غيابه عنها.

بعدما افرغتا محتوى السلة، تمددتا على العشب الطري، واغمضت سابينا عينيها، مستسلمة كلياً لهذه الطبيعة الجميلة. بعد قليل، سألت كيرستي صديقتها:

ـ هل تعرفت الى زوجك منذ وقت طويل، قبل زواجكما؟

ـ ستة اشهر فقط. تعرفت عليه في محل لبيع التحف القديمة.

ـ انه شاب كثير الجاذبية. لا شك انه فتنك، اليس كذلك؟

ابتسمت سابينا وقالت:

ـ بشكل قوي جداً. ثم التقيت به في النهار نفسه، في الشارع، تحت المطر.

ـ بالصدفة او بتصميم مسبق؟

ـ بالصدفة. كان المطر ينهمر بقوة، ولم اكن ارى اين اذهب بخطواتي.

فجأة خطر ببالها فكرة وقالت:

ـ هل تعنين بأن ديفيد دفعني عن قصد للتحرش به؟

قهقهت سابينا امام هذه الفكرة، فقالت لها كيرستي:

ـ ولم لا؟ ليس هو اول رجل غازلك، على ما اظن.

ـ ولماذا تقولين هذا الكلام؟

ـ انت فتاة جذابة جداً. لا اقصد منظرك فقط. طبيعتك دافئة، ومن السهل ان يشعر الرجال بذلك. انا لم اجذب الرجال اليّ، لأنني ممشوقة القامة وعديمة المهارة. في المستشفى، ينجذب اليّ الموظفون الرجال ويفتحون لي قلبهم ويخبرونني عن تعاستهم وآلامهم ومصائبهم، وهذا كل ما في الأمر.

ـ اذن تجذبينهم، ما داموا يكشفون لك عن قلوبهم.

قالت كيرستي بجفاف:

ـ الرجال يثقون بطبيبهم، ولا يفكرون ابداً بالزواج منه!

ـ هل احببت احداً، يا كيرستي؟ اسمحي لي ان ادعوك كيرستي، وارجو ان تدعوني سابينا، بدورك. لنكن صديقتين، هل توافقين؟

ـ نعم، طبعاً. سبق ووقعت بغرام رجل. واذا قررت يوماً ان اتزوج، فذلك من اجل عدم البقاء وحيدة.

كان صوت كيرستي مليئاً بالمرارة، فسألتها سابينا بلطف:

ـ ماذا جرى لهذا الحب؟

ـ لقد فضل امرأة اخرى.

ـ آه، المعذرة! لكن هل انت متأكدة من ذلك؟ انت جذابة وساحرة، هل تعرفين ذلك؟ والرجل الذي كنت تحبينه، هل قال لك انه يحب امرأة اخرى؟

ـ غيره فعلوا ذلك، واخبروني انهم رأوه معها، ولما فاجأتهما بنفسي، لم ينف ذلك.

ـ ولم تطلبي منه تفسيراً؟

هزت كيرستي كتفيها وقالت:

ـ كلا. انما رفضت ان اراه كلياً. وفي تلك المرحلة، كانت احدى قريباته مريضة جداً، واضطر ان يكرّس لها كل وقته. بعدها، رأيته مع هذه الفتاة. لكنهما اليوم ليسا معاً، مع انني اعتقد ان علاقتهما لم تنته.

ـ الفتاة نفسها قالت لك ذلك؟

ـ نعم. اخبرتني عن علاقتهما...

ـ ووثقت بكلامها؟ الم يخطر لك انها، ربما، لا تقول الحقيقة؟

ـ كلا. انها اصغر مني سناً واجمل مني منظراً، من نوع النساء

اللواتي يجذبن الرجال. من جهة، افهم اختياره. واتساءل دائماً لماذا وقع اختياره عليّ في بادىء الأمر.

ـ لا شك انه كان يحبك كثيراً.

ـ لكن، في كل حال، نسي هذا الحب بسرعة.

ـ وانت، هل احببته؟

ـ افضل ان اتحدث بموضوع آخر. انتهى الأمر بيننا بصورة نهائية. وهل يجب علينا متابعة هذا الموضوع؟

قالت سابينا بحدة:

ـ انت من فتح هذا الموضوع. انك مقتنعة كلياً باخطائك الخيالية الى درجة انك لا ترين نفسك كما انت حقاً. فكيف بالاحرى يمكنك ان تعرفي الحب حيث يكون موجوداً؟ آمل الا تكوني منزعجة من كلامي المباشر. لكن، اعتقد ان ما اقوله ضروريا، يا كيرستي.

وضعت سابينا يديها وراء رأسها والقت نظرة باتجاه الاشجار الكثيفة فوقها وتساءلت: ماذا يفعل ديفيد في هذه اللحظة؟ يا لهذا السؤال العاقر! اغمضت عينيها واستلقت باسترخاء.

نامتا نوماً متقطعاً، طيلة فترة بعد الظهر. وبعد سباحة اخيرة في البحيرة، اقترحت كيرستي ان تأخذ سابينا في جولة صغيرة الى المدينة الواقعة على مسافة كيلومترات قليلة من هنا.

لم تكن المدينة ذات اهمية كبرى، لكن سابينا اعجبت بالمحلات الصغيرة الفريدة من نوعها. وفي احدى المحلات الكبرى، تأملت سابينا مطولاً الموضة النسائية، فوجدت الألوان زاهية جداً، ترتديها النساء باناقة وذوق. اشترت لها ولديفيد بابوجين مصنوعين من جلد الابل، وشرشف سفرة مع فوطة مطرزة على الطريقة الفنلندية. كانت كيرستي تختار بابوجاً لأخيها عندما وجدت نفسها وجهاً لوجه

مع رجل ممشوق اشقر يخرج من جناح الأحذية الرجالية. ابتسم ماكس هيلتوسن لسابينا ولكيرستي وقال:

ـ كنت اعرف جيداً بانني سألتقي بشخص مفرح، هذا النهار. هل قمت ببعض الشراءات يا سابينا؟ وانت، يا كيرستي، لم اعد اراك!

اجابت هذه الأخيرة بلهجة باردة:

ـ انا مستعجلة، يا ماكس، ارجوك معذرتنا.

انحنى بلطف ولم تعرف سابينا ما فعله. لم تكن كيرستي بحاجة لفتح حديث مع هذا الرجل، لكنه كان قربها ولم يقم بأي حركة للابتعاد، او ليدعها تمران. ربما يتصنع بأنه لم يفهم شيئاً؟ في كل حال كان يبدو مسيطراً على الموقف. سألته سابينا:

ـ لا اعتقد انك رأيت ديفيد؟ كان يحضر مؤتمراً اليوم.

ـ انت لا تبحثين عنه، على ما اعتقد؟

ـ كلا، امضي النهار برفقة كيرستي.

بحثت عن الفتاة بعينيها، فلمحتها داخل المحل، تتجول بين الملابس. فأضافت سابينا تقول:

ـ انها فتاة لطيفة جداً وامضينا نهاراً ممتعاً معاً.

ـ لا اريد ان اكون لجوجاً، ولا شك ان كيرستي فعلت كل ما في وسعها لتسليتك. الى اللقاء، وآمل ان تأتي يوماً لتناول العشاء معنا في منزلي.

ابتسمت له. كان يرتدي بزة رمادية فاتحة ولا شك انه رجل وسيم وساحر. وتساءلت سابينا لحظة عن عمق عواطف هذا الرجل تجاه كيرستي خلال خطوبتهما، لم تقدر ان تستنتج شيئاً، لكنها رأت كيف شحبت عيناه عندما سلّم على كيرستي. فقالت، بعد صمت طويل:

ـ افكر ان آتي مع ديفيد هذا المساء للعشاء عندك.

ـ رائع. ما رأيك في الثامنة؟

ـ حسناً.

ودعته ودخلت الى المحل لملاقاة كيرستي، رأتها حاملة جوارب صوفية في يدها. لمستها سابينا واعجبتها وارادت ان تشتري مثلها لديفيد لكنها لا تعرف ذوقه ومن الصعب عليها اختيار اللون الذي يعجبه. وضعت كيرستي اغراضها في الحقيبة وخرجتا من المحل، فهتفت سابينا قائلة:

ـ اشعر بحشرية لمعرفة ما اشترى ماكس.

ـ هل يعجبك؟ واي امرأة لا تعجب به؟

ـ انت، يا كيرستي. والا لما زجرته هكذا.

شحب وجه كيرستي وقالت:

ـ لا اتمنى ان اتحدث مع ماكس هيلتوسن، لا اليوم ولا في اي وقت آخر. هذا كل ما في الأمر.

شعرت سابينا باضطراب وقالت:

ـ المعذرة. لم اكن اقصد جرح شعورك. انتما لطيفان ويؤسفني ان اجعلك حزينة من اجلي، لكن شرحاً بسيطاً يمكن ان يوضح الأمور ويبدد الخلافات.

ـ شرح بسيط؟

نظرت اليها كيرستي بعينين مذعورتين، فقالت لها سابينا بخوف:

ـ المعذرة. ربما حشريتي تجاوزت حدودها... لا اريد ابداً ان اغيظك. هل تلومينني؟

ـ طبعاً لا. ما رأيك بالذهاب الى مقهى مفتوح، نجلس على شرفته، ونحتسي بعض المرطبات؟ اعرف مقهى في طريق العودة.

ـ اتفقنا.

كان المقهى يطل على البحيرة. مبني من الخشب، وامامه حديقة صغيرة مزروعة بشتى انواع الأزهار. وعلى العشب الأخضر، وضعت الكراسي والطاولات. جلست الأمرأتان على طاولة قرب الماء وطلبتا من الخادم زجاجتي مرطبات مثلجة وبعض الحلوى. الظاهر ان لقاءهما بماكس جعلهما قريبتان اكثر من قبل.

تأسفت سابينا على انتهاء النزهة، واوصلتها كيرستي الى الفيللا واعدة ان تأتي عما قريب لاخذها في نزهة اخرى. لم يكن ديفيد قد عاد من المؤتمر، فراحت سابينا تبحث عن ايلا لتعلمها بأنهما سيتناولان العشاء خارج المنزل. فرحت ايلا، لأنها ستتمكن من زيارة والدتها التي تملك منزلاً صغيراً في الجوار.

اخذت سابينا دوشاً، ثم ارتدت فستاناً من الموسلين الأزرق المزيّن بالدانتال المخرم. كان شعرها ينسدل على كتفيها كخيطان حرير ناعم، بينما راحت تسرحه. هذا يدل على ان صحتها تحسنت، وسيجدها ماكس قادرة على تحمل عملية ثالثة. هذه الفكرة طردت حزنها لكن لم تخفف عذابات الانتظار.

هل سيعود ديفيد اليها بعد حادثة الأمس؟ لم يسبق ان رأته غاضباً مثل امس. وفي الصباح خرج قبلها ولم يترك لها رسالة ليعلمها بموعد عودته. قررت، انه اذا لم يعد، ستذهب وحدها لتناول العشاء عند ماكس، وستترك له كلمة اذا عاد في غيابها.

لكنه وصل عندما كانت تنتعل صندلها الازرق الجميل. انتفض قلب الفتاة بينما كان يغلق الباب. ظلت صامتة ومرتجفة. سمرة بشرتها الذهبية تظهر بوضوح جمالها الناعم وشقرة شعرها واتساع عينيها المحاطتان بالرموش الطويلة...

ولفترة، تلألأت عينا ديفيد القاتمتين، سألها رافعاً حاجبيه اندهاشاً:

ـ انت خارجة؟ ام تتزينين من اجلي؟

بلعت سابينا ريقها بصعوبة ورفعت ذقنها الفخور، كاشفة عن عنقها الطويل. لكن ابتسامتها لم تؤثر به. فقالت:

ـ سنتناول العشاء عند ماكس. التقيت به بعد ظهر اليوم عندما كنت برفقة كيرستي. آمل الا تكون قد خططت لسهرة اخرى.

رفع ديفيد كتفيه وقال:

ـ وفي اي ساعة سينتظرنا؟

ـ في الثامنة.

تناولت عن الطاولة علبة صغيرة واضافت تقول وهي تقدمها اليه:

ـ لقد اشتريت لك هذا البابوج.

ـ هل فعلت ذلك لتطمئني نفسك عن حسن سلوكي؟ هذا طلب صعب، خاصة وانت بهذا المنظر الجميل، الآن.

وبصوت بارد، اضاف يقول بسخرية:

ـ بشعرك اللماع كالذهب، وعينيك العميقتين كبحيرات الجبال العميقة، تبدين نجمة للجائع، وانا لست سوى رجل مثل الآخرين.

اقترب من سابينا، وبأقل من لحظة كانت بين ذراعيه، لكن ما زالت محتفظة بكرامتها. فانتصبت ولجأت للغضب، سلاحها الوحيد ضده. وقالت:

ـ الا يمكنني ان اقدم لك هدية، من دون ان ترد علي بالشتائم؟ هذه هديتك، خذها. وفي ما يتعلق بمساء امس، اطلب منك ان تسامحني، بصدق. ارجوك، كن متفهماً.

ومن دون شفقة، اجاب:

ـ وماذا يجب ان افهم، من هذا الكلام؟

قدمت له سابينا الهدية، فأخذها من دون حراك، وقال ساخراً:

ـ هيا، ما الذي علي فهمه؟ انك لم تعودي تحبينني؟

لو استطاع التخلي عن قساوته المتحجرة، لارتمت بين ذراعيه. لكنها تقلصت بقسوة وقالت مرتجفة:

ـ احبك. لكنني، بحاجة للوقت.

ـ انت لا تحبينني. ولا يمكن لأحد ان يفعل شيئاً بهذا الخصوص. الحب يكون عفوياً، مفرحاً. وكل خطاباتك حول التفهم والوقت، تجعلني مريضاً. لقد سبق وقلت لك ان السعادة لا تبنى على الحقوق والواجبات... اذا لم تفهمي ذلك فلن تفهميه ابداً.

صرخت سابينا، بينما كان يدخل الى الحمام:

ـ لكن، ديفيد...

لم يلتفت، بل اغلق الباب. فجلست في المقعد القريب. وبعد قليل، خرج ديفيد بلباس السهرة، انيقاً، وسيماً، اكثر من اي وقت آخر. وقال في الحال:

ـ هل اعلمت ايلا بخروجنا؟

هزت رأسها، وسبقته الى الخارج بصمت.

ـ هل تحبين ان نجتاز البحيرة بالمركب، ام تفضلين ان نأخذ السيارة؟

عضت سابينا على شفتيها، لا تعرف ماذا تقول. يبدو ان ديفيد لا يبالي بالشال الموهير الملفوف حول كتفيها. فقال:

ـ ما رأيك ان نأخذ المركب، كتغيير عن السيارة؟ في كل حال انها فرصة العمر... السنا في شهر العسل...

تابط ديفيد ذراعها وتوجه بها نحو المركب. فوجداه حاضراً، والوسائد بداخله. سمعا صوت اجنحة فوق رأسيهما، فانتفضت، خاف العصفور ولمس بطيرانه رأس سابينا. فوجئت المرأة وذعرت وشدت على ذراع زوجها، فقال لها:

ـ لا شيء. انه عصفور فقط.

حملها ديفيد بين ذراعيه ووضعها في المركب بانتباه. ولما اقترب من الضفة الثانية، استعلم عن حالها، فاحمرت خداها وابتسمت وقالت:

ـ حسناً. هذه البحيرة جميلة، خاصة مع هذه الشمس التي تلمع كما في النهار. هل سبق وتعرفت الى والدة ماكس؟

ـ كلا. اعتقد انها كانت مريضة جداً، منذ سنة تقريباً، في القلب، انها مغنية محترفة، مختصة بالأغاني الكلاسيكية.

ـ آه، صحيح؟ لا شك انها مرضت في فترة فسخ الخطوبة بين ماكس وكيرستي. اخبرتني كيرستي ان ماكس كان مهموماً في تلك الفترة، وربما لهذا السبب لم تفهم كيرستي الأمور بوضوح.

لمس المركب الشاطىء، فقفز ديفيد ومد لها يده. كان ماكس بانتظارهما. فحياهما بحرارة.

وصل الجميع الى المنزل واستقبلتهم في الباب امرأة عجوز قال ماكس معتذراً:

ـ لم يكن بامكان والدتي ان تأتي معي الى البحيرة لاستقبالكما.

انيتا هيلتوسن شقراء، ذات عينين جوزيتين. كانت ترتدي فستاناً من الكريب الأخضر المطرز باللؤلؤ الأسود. ما زالت نحيلة كامرأة شابة. ولما قام ماكس بالتعريفات، مدت انيتا يدها الناعمة وقالت:

ـ حدثني ماكس كثيراً عنك ولو تعرفين كم اود التعرف اليك. يا

لهذا الشعر الجميل الذهبي. جميل مثل شعري، عندما كنت شابة. لكنني الآن، شخت ولم يعد طويلاً.

ومن نظرات العجوز، تأكدت سابينا ان المرأة نادمة على شبابها. وراحت تتخيل غيرتها تجاه كيرستي.

حتى مرضها في العام الماضي، كانت حياة المغنية نشيطة جداً. لكنها الآن لم تعد تغني امام الجمهور، بل احياناً امام صديقاتها، بينما يعزف لها ماكس على البيانو.

كانت انيتا ترغب في ان يصبح ماكس عازف بيانو شهير ويكرس حياته له، لكن والده الطبيب العام شجعه على الطب واصبح الآن جراحاً مشهوراً.

قالت السيدة هيلتوسن غير مبالية:

ـ زوجي ينقصه الحماس والطموح. مات في الخمسين من العمر، بعد ان ارهق نفسه ليل نهار في عمله الطبي.

ـ لماذا اختار ماكس الجراحة التجميلية؟

وبحركة تمثيلية، اجابت:

ـ ابني يتمتع بقلب واسع. عندما كان يعمل في انكلترا، كان يرتعب من الكدمات التي يتعرض لها ضحايا حوادث السير. ولهذا السبب قرر هذا الاختصاص.

ابتسم ديفيد وقال:

ـ المهم ان يحب الانسان مهنته، ولا دخل للقلب هنا.

كتفت انيتا يديها وقالت:

ـ انت، ديفيد، كل شيء يمكنك ان تنجحه. انا اكيدة من ذلك. انت وزوجتك تليقان ببعضكما البعض. يا للأسف، هذه الكدمة، لكن ماكس سيزيلها عن خدك الجميل.

امضيا سهرة ممتعة برفقة ماكس ووالدته، وفي طريق العودة كان ديفيد يحذف بصمت. حولهما البحيرة تلمع تحت اشعة شمس منتصف الليل. ظلت سابينا صامتة. انتهت السهرة، لكن الأهم ينتظرها. العيش مع ديفيد ليس امراً سهلاً، كل يوم. قالت:

ـ هل امضيت سهرة ممتعة؟ يبدو عليك الابتهاج.

ابتسم وقال:

ـ لدي سبب لذلك، لكنني امضيت سهرة مسلية. وانت؟

ـ انا ايضاً. يا له من وسيلة تنقل رائعة، اليس كذلك؟ وبقية العالم يبدو على بعد ملايين الكيلومترات.

ـ كما في كل شهر عسل محترم. من رأسك حتى قدميك، لست سوى شفافية ونعومة وعطب سريع. ما كان يجب عليّ ان ادعك تجتازين البحيرة، هذا سيجعل نومك مضطرباً.

فقالت بنبرة مماثلة:

ـ وانت ستنام جيداً.

لم يقل شيئاً. عندما وصل الى الشاطىء، وضع قدميه ارضاً وحملها بين ذراعيه. فوجئت بسرعة هذه العملية، لاهثة، لا تعرف ماذا تفعل غير التوجه الى الفيللا. بعد لحظة لمحت انساناً يركض باتجاهها:

ـ مرحباً! اعتقدت انكما لن تأتيا ابداً.

انها سلمى سومرز بلباس اسود. اضافت تقول:

ـ فهمت ان ديفيد سيكون في الفيللا، في المساء. التقيت به بعد ظهر اليوم، الم يخبرك بذلك؟

ـ كلا.

ـ امر غريب!

ـ لا غرابة في ذلك. كنا مدعوين الى العشاء. في كل حال، ماذا تفعلين هنا، في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟

رفعت سلمى كتفيها وقالت:

ـ لقد خلّ ديفيد بوعده لي! لا شك انه اخبرك بأنني سأمضي بضعة ايام هنا؟

كان ديفيد قد وصل وقال بارتياح:

ـ مساء الخير، سلمى. سابينا، زوجتي. لندخل؟

ـ ديفيد، حبيبي، لم تخبر سابينا عني. فكأنني متهمة بالتدخل في شؤون الغير.

لم تعد سابينا قادرة على تحمل اي شيء، فقالت قبل ان تنسحب:

ـ ليس لدي وقت للاستماع الى تفسيرات لا تخصني. اعذراني. وتصبحان على خير.

صعدت سابينا الى غرفتها بكرامة. كل كيانها متوتر كأنها تلقت صدمة عنيفة.

٥ - انكسر الزجاج بينهما وكان على سابينا ان تذهب في نزهة وحدها كي تفكر جدياً بفسخ الزواج . . . وتلتقي انيتا هيلتوسن التي كشفت حقاً عن انانيتها هذه المرة!

ـ هذا لا يعجبني، سيدة سافلون. اعني تدخل سلمى في حياتك الخاصة.

كانت ايلا قد احضرت فطور الصباح الى سابينا ووضعته امامها. وخلافاً للعادة كانت حزينة ومتوترة.

ـ لو يعرف آل سومرز ماذا يجري هنا، لغضبوا كثيراً. السيد سافلون ينظر الى الأمور ببساطة. لكن، حسب رأيي، يجب ان نطلب منها الذهاب، قبل. . .

توقفت ايلا عن الكلام، فجأة، واحمرت غضباً وتقلصت في صمت خجول، فقالت لها سابينا:

ـ اكملي. ماذا تقصدين بكلامك؟ قبل ماذا؟ . . . قبل ان تجلب لنا المشاكل. تعرفين ان ديفيد ينام في المكتب، ذلك لأنني انا أريد ذلك يا ايلا.

تنهدت ايلا مصدومة وقالت:

ـ لكن، لماذا؟

تنهدت سابينا بدورها. فهي تكره ان تكشف عن قلبها بما يختص بديفيد، لأنها تحب ديفيد كثيراً. لكن وصلت الأمور الى درجة اصبحت معها التفسيرات ضرورية.

وصول سلمى ازعج الجميع، وخاصة ليف وايلا. ليف يعمل ليصبح مهندساً، والاثنان لديهما مركز مهم في هذا المنزل، ولا يريدان خسارة هذا المركز. وبما ان سابينا تعرف بأن ايلا تحبها قالت لها بصراحة:

ـ بسبب الكدمة في وجهي. انا خائفة ان يتوقف ديفيد عن حبي. بعض الرجال لا يتحملون هذا النوع من الأشياء، واجهل اذا كان ديفيد هكذا. لم يسبق ان سألته عن ذلك ابداً.

ـ انت مخطئة لأنك تعتبرين هذا التشويه البسيط جدياً. لكن لا علاقة لي بذلك. ولا حاجة ان اقول بأن زوجك ذهب يسبح في البحيرة، وسلمى لحقت به. قال لي انه سيعود بعد قليل.

ابتسمت سابينا بيأس وقالت:

ـ وجئت توقظينني من النوم، حاملة هذه الصينية. شكراً، يا ايلا. سترين، كل مشكلة ولها حلها. لا تقلقي.

بعد ذهاب ايلا، احتست العروس الشاي وتساءلت اذا كانت سباحة الصباح مع سلمى متفق عليها مسبقاً. هنأت نفسها لأن زواجها لم يتم الا على الورق، وانها والحمدلله ما تزال عذراء

امام الله.

ديفيد لا يشك لحظة انها تمضي الليل تحلم به، وان قدميها تخوران كلما اقترب منها. انها الآن تشكر سلمى لأنها فتحت عينيها على ديفيد ووصلت في الوقت المناسب لتمنعها من ارتكاب حماقة ربما ندمت عليها طيلة حياتها. لكنها تحب ديفيد اكثر من اي وقت مضى ولا تستطيع شيئاً امام هذا الواقع.

اغتسلت وارتدت ملابسها كما في ضباب، بعد ان اختارت فستاناً اخضر بالغ الاناقة. ثم سرحت شعرها ونزلت الى الصالون.

في المدخل رأت رجلاً يذرع الأرض ذهاباً ايباً، رفع رأسه لدى وصولها. ابتسم واطلق صفير اعجاب. انه شاب وسيم، ذو شعر بني وملامح قاسية.

ـ لن تكوني قاسية وتقولي بأنك متزوجة. الطهارة ما زالت ظاهرة على وجهك. لكنني، اظن بأنك السيدة سافلون، والرجل الذي يسبح في البحيرة الآن ليس سوى زوجك.

احمرّت سابينا وقالت:

ـ نعم، انا السيدة سافلون؟ وانت، من تكون. هل تنتظر وصول زوجي؟

ـ انتظر فطور الصباح. جئت مساء امس مع سلمى. كنت في السيارة، بينما راحت تبحث عنكما. كنتما غائبين لدى وصولنا. ولا استطيع القول بأن حرّاس المنزل استقبلونا بترحاب.

ـ هذا لأن سلمى مفروض ان تبقى عند عمتها في هلسنكي خلال غياب والديها. وانت، لست اكبر منها سناً بكثير.

ـ عمري ٢٢ سنة، لكنني اعتبر نفسي اكبر منها بأكثر. امس، كنت حراً في وقتي، فاقنعتني سلمى ان اقودها الى هنا لتجلب بعض

اغراضها من داخل الفيللا. واخبرتني ان عروسين استأجرا الفيللا لوقت معين.

ـ من اجل قضاء شهر العسل.

بقي فاغر الفم، مذعوراً وقال:

ـ شهر العسل؟ يا الهي! لم تقل لي ذلك. اعذريني، سيدة سافلون. آسف على تدخلي الوقح، لأنني لم اكن على علم بشيء. لقد فهمت منها انك تقضين فرصة للنقاهة بعد الحادث.

احمرّت عندما نظر الى الكدمة في خدها، وقالت:

ـ هذا صحيح ايضاً، وسلمى هنا في منزلها.

مدت له يدها وقالت:

ـ ادعى سابينا. وانت؟

ـ بيل ساندز. هل انت غاضبة مني. لا شيء بيني وبين سلمى. ليست من طرازي، بل انها صديقة جيدة.

ـ انا اكيدة من ذلك، يا بيل. هل جئت لأخذ الفطور؟

ـ انه منزل جميل، وموقعه على ضفة البحيرة المشمسة...

الضجة امام الباب جعلته يتوقف عن الكلام ويلتفت الى الوراء. واذا بسلمى تدخل بقوة وسرعة كأن احداً يلاحقها. خلعت قبعة السباحة وصرخت تقول:

ـ بيل، يا لك من انسان بارد، لماذا لم تأت معنا؟ الماء رائعة للغاية. وانت ايضاً يا سابينا، ماذا تفعلين لتبقي متأخرة في سريرك؟ اليس ما اقوله صحيحاً، يا ديفيد؟

دخل ديفيد باحتشام، لافاً جسمه بمئزر ازرق. وقبل ان يتمكن من الرد، قال بيل بجفاف:

ـ هل دخلتما السونا ام سبحتما في البحيرة؟

قهقهت سلمى ضاحكة وتأبطت ذراع ديفيد وقالت:

ـ لقد سبحنا فقط. لكن، في المرة المقبلة، ربما نذهب الى السونا.

انتقلت نظرات سابينا من سلمى المتألقة بحرارة داخلية، الى ديفيد الذي بيدو واثقاً بنفسه كلياً. قال ديفيد لا مبالياً:

ـ من الأفضل لك يا سلمى ان تذهبي وترتدي ملابسك. وهذا ما سأفعله انا ايضاً.

عادت سلمى الى الصالون لترى ان سابينا وبيل قد شرعا في تناول الفطور. كانت ترتدي فستاناً من القطن المقلم وتنتعل صندلاً ذا كعب عال. وتحمل في يديها علبة صغيرة، قدمتها لسابينا، قائلة:

ـ هدية عرسك.

ابتسمت سابينا بتهذيب وقالت:

ـ آه، شكراً. اجلسي، من فضلك.

رجعت سلمى الى الوراء وقالت:

ـ انتظر ديفيد. الن تفتحي الهدية؟

وضعت سابينا الرزمة على الطاولة وقالت بصوت عسلي وابتسامة ساخرة:

ـ سأفتحها عندما يأتي ديفيد. انها لنا معاً. والآن، اجلسي والا سيكون فطورك بارداً. لا انوي ان اكبل ايلا بأعمال اضافية، فاليوم يبدأ السوق المفتوح. اذن، اجلسي.

قال بيل:

ـ نعم، اجلسي هنا قربي. لدي بعض الاسئلة سأطرحها عليك. لماذا لم تقولي لي ان السيد والسيدة سافلون في رحلة شهر العسل؟

جلست سلمى قرب بيل على مضض، وظهر العبوس على وجهها وقالت:

ـ لا تغضب علي. لم اقل شيئاً، لأنني كنت اعرف بأنك ستجد نفسك مضطراً للمساهمة في الهدية، بينما انت مفلس.

نظر بيل اليها غير مصدق، لكنه لم يقل شيئاً. شرع يأكل بشهية، بينما سلمى تنقر الطعام بانتظار وصول ديفيد. ولما وصل هذا الأخير، كان يرتدي بزة خفيفة، واكتفى بجرع فنجان قهوة وقال:

ـ المعذرة، انا مضطر للخروج الآن. سأراكم من جديد في موعد الغداء.

قالت سابينا، متجاهلة خيبة سلمى:

ـ ديفيد، يجب ان احدثك، قبل ذهابك.

ـ بسرعة اذن، يجب الا اتأخر عن موعدي، يا حبيبتي.

نهضت سابينا ولحقته الى الغرفة الثانية وقالت:

ـ في هذه الحال، سآتي معك في السيارة.

رفع حاجباً باندهاش وقال:

ـ وضيوفنا؟

حدقت اليه بنظرة حانقة وقالت:

ـ ضيوفك، لا ضيوفي. سأذهب واجلب حقيبة يدي.

ولما عادت من غرفتها كان قد صعد الى السيارة ينتظرها. جلست قربه واقلع من دون ان يقول كلمة. ضمت يديها على حقيبتها فوق ركبتيها وقلبها يشتعل غضباً. وجهها شاحب، وعقلها اتخذ قراراً. بعد قليل قالت بهدوء تام:

ـ لماذا دعيت سلمى للبقاء معنا؟

ـ جاءت لتأخذ امتعتها. وصلا باكراً في السهرة، وبسببنا انتظرا طويلاً. لم يكن بامكاني ان افعل شيئاً آخر: غرفتها ما زالت فارغة، كما هناك غرفة للضيوف، نام فيها صديقها.

- وهل تنوي البقاء مطولاً؟

رفع ديفيد كتفيه وقال:

- لم اطرح عليها هذا السؤال.

صمت واسرع في القيادة، كأنه يعتبر هذا الحديث مثيراً للاشمئزاز، ثم عاد يقول:

- عن هذا الموضوع تريدين التحدث الي؟

- نعم. كان مفروضاً منك ان تطلب رأيي قبل ان تدعو هذه الفتاة. بالنسبة الى ليلة واحدة، بسيطة، لكن...

- هل يجب ان اذكرك انك ذهبت الى النوم مساء امس قبل ان نفتح فمنا بهذا الموضوع؟

- نزلت في الصباح الى الصالون لأرى شاباً اجهله. من الأفضل لنا ان نذهب الى الفندق. ربما ستأتي عمتها لتتفقدها وتبقى هنا للسهر عليها.

- وماذا بعد؟ وبماذا يزعجانك؟ هل ستتذرعين بالقول أنك هنا في رحلة شهر العسل؟

صرخت سابينا بحدة وقالت:

- ليس هذا سبباً لتصرخ على السطوح بأن الأمور بيننا لا تجري كما يجب! كيف بامكانك ان تكون هادئاً، وواثقاً من نفسك، الى هذه الدرجة؟

كبتت دموعها ثم قالت:

- انه واضح للغاية!

- واضح؟ ما هو الواضح؟

- فرحك ان تكون هنا. اعرف جيداً ان الأمور لم تنته بعد. انا لست حمقاء!

اوقف ديفيد السيارة على طرف الطريق وأطفأ المحرك، ثم التفت الى زوجته بنظرة قاسية وسألها من جديد:

- ما هو الواضح؟

- انت تعرف جيداً من اقصد.

نظر اليها باستغراب وقال:

- السؤال ليس مفهوماً. هيا، اكملي.

- سلمى.

- سلمى؟ وماذا عنها؟

- كل شيء.

- الا تستلطفيها؟

تردد قليلاً، ثم اضاف:

- اعذريني، لكنني فوجئت بقدومها، مساء امس. فالوقت كان متأخراً.

- انت قلت لها ان تبقى.

- لم يكن بوسعي ان افعل غير ذلك. الظاهر انها اخبرت عمتها بأنها جاءت الى هنا لتمضية بعض الوقت.

- اليست وقاحة من قبلها ان تظهر هكذا، بينما نحن استأجرنا الفيللا؟

رفع ديفيد كتفيه وقال:

- لا اعتقد بأنها ستبقى هنا طويلاً. من جهة ثانية، فستكون رفيقة لك خلال غيابي.

- لي، ام لك؟

تقلص وقال:

- هل تلمحين بأنني دعيت سلمى من اجلي انا؟

بشحوب اجابت:

ـ في كل حال، لم تدعها خصيصاً لي.

امسكها بذقنها، وارغمها على رفع نظرها اليه وقال:

ـ انت وانا متزوجان، اتتذكرين ذلك؟ وسلمى ليست سوى فتاة طائشة.

حدق بوجه سابينا، وابتسم لها بحنان وسخرية وسألها:

ـ هل انت غيورة؟

ـ غيورة؟

نظرت اليه بغضب شديد وقالت محاولة الخروج من السيارة:

ـ استمر في مغازلتها، لكن لا تتكل علي. الى اللقاء.

امسك بيدها ليبقيها وقال:

ـ سابينا، طفح الكيل معي. اين انت ذاهبة؟

ـ سأمضي نهاري خارج الفيللا.

سحب يده، وقال بتهذيب:

ـ النزهة ستهدىء اعصابك. عودي الى الفيللا وقت العشاء. انا اكيد بأن توترك سيزول وستكونين في مزاج افضل.

خرجت سابينا من السيارة كالعمياء. كان ديفيد ذكياً وعرف كيف يمتنع عن الافصاح عن سبب دعوته سلمى. وسابينا فتاة بسيطة، لا تتمتع بتجربة كافية لتستطيع ان تقرأ الحقيقة في عينيه.

منذ لقائها الأول بسلمى، اصبح زواجها يبدو غير محتمل ومن دون فائدة. وهي لن تتحمل البقاء هكذا مدة طويلة، لكنها تنتظر انهاء الزواج بأي شكل.

ـ سيدة سافلون، سابينا! كم انا مسرورة لرؤيتك! انت وحدك؟ وزوجك اللطيف، اين هو؟

نظرت سابينا الى السيارة التي وقفت قربها ورأت انيتا هيلتوسن في داخلها. كانت تبدو انيقة في بزتها الصوفية البيضاء. حول عنقها شال ازرق يضيء وجهها وعينيها الجميلتين. عطر رائع يفوح منها. ولمدة ثوان، وقفت سابينا جامدة مكانها تحدق بوجه العجوز الجميل.

كانت ابتسامتها حارة وحركاتها مضيافة. فقالت لها سابينا:

ـ بالفعل، انا وحدي. ديفيد يحضر اجتماع عمل.

وفي الحال فتحت لها انيتا باب السيارة ودعتها الى الدخول والجلوس قربها. ابتسمت العجوز وقالت:

ـ وانا كذلك وحدي. ولدي وقت فراغ واسع. لنمضي اذن فترة الصباح معاً، الا اذا كنت مرتبطة بمشاريع اخرى؟

هزت سابينا رأسها نافية، فأهلا وسهلا بأنيتا لتملأ وحدتها. من المؤلم جداً ان تبقى وحدها في هذا الوقت، لأن الافكار السيئة ستنهار عليها وتكبلها. وجود انيتا سيشغل عقلها بطريقة مختلفة تماماً.

قالت انيتا:

ـ سامحيني ان قلت بأنك لا تبدين سعيدة هذا الصباح. طبعاً، كلامي يبدو تافهاً، لا شك انك تجدين هذا الفراق القصير مؤلماً. لكن بامكاننا تبادل الآراء والكشف عن قلبينا. لدينا الكثير لنعرفه عن بعضنا البعض.

بقيت سابينا صامتة، ثم قالت:

ـ طبعاً.

حاولت العروس الاسترخاء. فأنيتا تقود بأمان، مسرعة، ومبتعدة عن القرية، وفي وقت قصير وصلت امام مطعم صغير. فأوقفت سيارتها وابتسمت لسابينا وقالت بصوت دافىء:

ـ هذا المطعم الصغير اعتبره افضل مكان، وغالباً ما آتي الى هنا بصحبة ماكس. سنجلس في الشرفة المطلة على البحيرة. هيا بنا، من هنا.

اجتازت سابينا غرفة الطعام، تتبع انيتا. الجدران مطلية بالكلس الابيض ومزينة بالصور واللوحات التي تمثل ممثلين وممثلات وشخصيات فنلندية معروفة. وتساءلت سابينا اذا كانت صورة انيتا هيلتوسن معلقة بين بقية الصور، واذا كانت رافقتها لتريها اياها لكن ابعدت عنها هذه الفكرة السخيفة، بينما راحت انيتا تخلع قفازيها وتعطي اوامرها للخادمة.

ثم بدأت تحدث سابينا قائلة:

ـ القهوة في بلادنا غالية جداً، لا شك انك انتبهت الى ذلك، لكنني طلبت من الخادمة احضار فنجانين، نحتسيها مع الحليب اذا اردت. وبعد ذلك، ستتذوق وجبة فنلندية صرفة. يجب ان تتعرفي على اشياء جديدة موجودة في بلادنا، كي تستمتعي بهذه الرحلة.

وبعد صمت قصير، اضافت بلهجة ساخرة:

ـ انا اكيدة انك لا تلاحظين ما تأكلينه وانت برفقة ديفيد الساحر، فشهر العسل فرصة نادرة وممتعة وانا ما ازال اتذكره حتى اليوم. هل تعرفين انه خلال شهر العسل، لم اكن قادرة على تذكر ما يحتويه طعامنا؟ وانت، هل ستتذكرين ذلك؟

ابتلعت سابينا ريقها بصعوبة وقامت بجهد كبير لترد ببساطة على هذا الموضوع المؤلم، وقالت:

ـ سأتذكر ما سنأكله اليوم، بطبيعة الحال.

احضرت الخادمة بعض الحلوى مع القهوة، وراحت انيتا تتحدث عن بلادها، فشعرت سابينا بالاسترخاء وهي تصغي.

قالت انيتا بحماس:

ـ في بلادنا اشياء كثيرة ممتعة للنظر. وانا اكيدة بأنك ستجدين هلسنكي، عاصمتنا، مدينة مهمة جداً.

كانت انيتا رفيقة ممتعة ومسلية. ومن جهتها سابينا كانت على استعداد لأن تتابع هذا الحديث شرط الا تأتي على ذكر ديفيد. لكنها انهت حديثها قائلة:

ـ لا شك انك تعتبرين غياب زوجك عنك امراً مؤلماً.

شعرت سابينا بالاحمرار يعلو وجهها. وبسرعة قالت انيتا:

ـ انت وزوجك تليقان ببعضكما جداً. انا احسد سعادتكما. كم اتمنى لو كان زوجي ما يزال على قيد الحياة. لكن، لحسن الحظ، عندي ماكس.

علقت سابينا قائلة:

ـ من حظك ان ماكس ما زال عازباً. ولا شك انك تتساءلين اذا كان سيعرف اختيار المرأة التي تناسبه، نعم ام لا. لو كنت مكانك لانشغل بالي عليه.

تجهمت انيتا وقالت بحدة:

ـ سيبقى ماكس دائماً قربي. انه جزء مني، وانا احبه حتى الموت. هذا رائع حقاً، اذ اخذ مكان والده بجانبي.

تذكرت سابينا كيرستي في الحال وقالت:

ـ لكن ربما سيأتي يوم ويقع ماكس في الحب ويتزوج. مثلاً، في مستشفيات لندن، لا بد انه التقى العديد من الفتيات الجميلات الجذابات.

تأملت انيتا الخاتم الرائع الذي يلمع في اصبع العروس وقالت:

ـ يستطيع ماكس ان يتزوج اذا شعر بحاجة الى ذلك. لكن ذلك

غير وارد فهو لا يريد ابداً ان يتركني.

ـ هل تغضبين من ماكس اذا تزوج من فتاة انكليزية؟ اطرح هذا السؤال بدافع الفضول فقط.

اجابت انيتا ببرود قائلة:

ـ لم افكر بهذا الموضوع من قبل. طبعاً، افضل فتاة من جنسه، هكذا سيستطيعان الاعتياد بسهولة اكثر على المشاركة في الحياة.

ـ في هذه الحال، آمل ان يهتم ماكس بفتاة فنلندية. هل تشجعينه على ذلك، يا سيدة هيلتوسن؟

شحب وجه العجوز وقالت:

ـ طبعاً لا. ماكس لا يعاشر النساء، ولا اي فتاة بالذات، والا لقال لي.

ـ آه؟ الا تشعرين بالقلق عليه عندما يسافر الى لندن؟ سيدة هيلتوسن، ابنك جراح ممتاز، ورجل جذاب، وسيم، محظوظ، وغني، اي انه الرجل الذي تحلم بالزواج منه معظم النساء. وانا اعرف ذلك، لأنني رأيت بعيني ردات فعل بعضهن تجاهه، عندما كنت في المستشفى. سيأتي يوم ويأتيك بزوجة، من اي جنسية كانت، جميلة ربما، او قبيحة او لطيفة. ولا يعود بوسعك ان تقولي شيئاً.

عضت سابينا على شفتيها، فقالت لها العجوز:

ـ تقولين هذا الكلام لتخويفي، يا سابينا. تصورت انك صديقة لي. انا لا اتمتع ابداً بهذا النوع من الحديث. دعينا من هذا الكلام، والا ساء نهاري. كاد ماكس ان يقع في مصيدة الزواج مع فتاة فنلندية، لكن الأمر بينهما انتهى بشكل حاسم. والآن، لست على استعداد ان اسمع المزيد من التفاهات بهذا الخصوص.

هزت سابينا رأسها وقالت:

ـ احدثك كصديقة، يا سيدة هيلتوسن. اعرف كم هو مهم لأبنك ان يلتقي بالفتاة التي تناسبه. لكن كيف تعرفين ماذا يفعل خلال تغيبه واسفاره؟ انه رجل طبيعي ويتمتع بحاجات وطموحات كأي انسان آخر. يجب ايضاً ان تعتبري ان زوجته واولاده سيجلبون لك السعادة فيما بعد.

شحب وجه سابينا، وقالت:

ـ من تعتبرينني، يا سابينا؟

ـ انت امرأة شديدة الجاذبية، ذات شخصية ساحرة تلفت انظار الجميع. لكن، مثل معظم الامهات، تحبين امتلاك ابنك.

ـ اذن، انت تجدينني غيورة وانانية تجاه ابني؟

ـ ألست هكذا قليلاً؟ لابنك الحق في ان يعيش حياته الخاصة، كما سبق وعشت انت حياتك.

تقلصت انيتا واصبح صوتها بارداً عندما قالت:

ـ تتدخلين في امر لا يعنيك. لكنني سأضطر ان اعتبر هذا بسبب صغر سنك وقلة خبرتك وعاطفتك الطاغية. هذا الحديث جعلني مضطربة وشديدة التوتر، الآن. لقد ادخلت الى عقلي بعض الشكوك، في ما يتعلق بضرورة الحفاظ على ماكس قربي. لماذا؟

حدقت سابينا بوجه انيتا مطولاً، ولأول مرة لاحظت التجاعيد حول عينيها وشحوب بشرتها؛ وتساءلت: هل هو الخوف من الشيخوخة يدفعها الى التعلق بأبنها هكذا؟ انيتا امرأة فقدت زوجها وتطلب من ابنها جميع المبادرات والخدمات. وهذا عائد الى انانيتها الواعية او غير الواعية. قالت سابينا بلهجة ثابتة:

ـ انصحك الا تعلقي مستقبلك على عزوبية ماكس، لأنني اخشى

ان تسببي لنفسك الهموم والعذاب. لو لم يكن يرغب في الزواج، لما خطب ذات يوم.

ـ بصراحة، لم افهم ابداً ما الذي لفت نظره في تلك الفتاة.

ـ لا احد باستطاعته ان يفهم العاطفة التي تربط شخصين محبين. وذات يوم سيعرفك على كنتك ولن تجدي شيئاً آخر يمكن فعله.

ابتسمت انيتا باطمئنان وقالت:

ـ يحبني ماكس كثيراً ولن يعذبني، بخاصة ان قلبي شديد الحساسية. يا ابنتي، انت فتاة عاطفية جداً. لكنني اسامحك لأنك مغرمة وتريدين رؤية الآخرين مثلك. انت تقولين ان لا احد بامكانه معرفة العاطفة التي تربط انسانين ببعضهما. اذن، انا بامكاني ان اقول بالتأكيد ماذا يحب زوجك فيك. لم تعودي طفلة، لكنك تتمتعين بكل الصفات التي يبحث عنها الرجل في المرأة. ماكس يرى العديد من النساء الجميلات في عمله، لكنه لا يتأثر بهن ابداً. انت مخطئة بحقه، وانا متأكدة من ذلك.

هذه الكلمات احزنت سابينا التي قالت:

ـ المستقبل سيقول لنا من منا على حق.

وبعد القهوة، صعدتا الى السيارة من جديد، وجابتا في الريف الجميل طيلة الصباح.

تناولتا الغداء في مطعم فنلندي اصيل حيث الطاولات من خشب والجدران من جذوع الصنوبر المقشورة، واكاليل الخبز معلقة في السقف.

قالت انيتا شارحة:

ـ جئت بك الى هنا، بسبب اختصاص هذا المطعم بالمأكولات الجبلية.

في الحقيقة، كان الطعام بمجمله لذيذاً، السمك الطازج، لسان الايل الساخن والفطر المقلي معه. والجبنة البيضاء الطرية... ولم تتوقف سابينا لحظة عن الترداد بصوت مبتهج:

ـ انه حقاً رائع!

www.elromancia.com

٦ - مع ان مشكلة الضيوف في طريق الحل فان سابينا اجتازت البحيرة مرة ثانية وراحت في نزهة وحدها. . . . لكن الظروف قادتها الى لقاء ماكس الذي دعاها الى الرقص. . .

اوصلت انيتا هيلتوسن سابينا الى باب الفيللا بسيارتها الفاخرة، وعادت الى منزلها. دخلت العروس الى الفيللا الصامتة. وبينما كانت تفتح باب غرفتها، احست بوجود شخص ما في الداخل. وبالفعل كان ديفيد واقفاً قرب النافذة، يرتدي بزة السهرة، بانتظار عودة زوجته. فسألها بفارغ صبر:

- أين كنت؟ انها سيارة ماكس، التي اقلعت من امام الباب الآن، اليس كذلك؟

- نعم، بالضبط.

- واين ذهبت معه؟ الى المستشفى؟

- كلا. لم اكن مع ماكس، بل مع والدته. وانت مع من امضيت النهار؟

رمت سابينا حقيبتها على الكرسي وتوجهت الى الدولاب وفتحته، فأجابها بلطف:

- تعرفين جيداً اين كنت. هل كان مفروضاً بك ان تعودي في وقت متأخر وضيوفنا بانتظارنا؟

التفتت اليه وقالت في غضب شديد:

- انهم ضيوفك انت، لماذا لا تهتم بهم؟

تجهم وجهها اشمئزازاً واضافت تقول:

- لا تشتمني بحجة ان وجودي كان ضرورياً. مغامرتك مع سلمى لا تتعلق بي.

وبالرغم من غضبه، ظل محافظاً على هدوئه ونظر اليها ببرود، وبوجه قاتم ومتوتر قال:

- ماذا تخترعين؟ سلمى هنا في منزلها. ومن الطبيعي ان تأتي الى هنا لجلب اغراضها الشخصية. واذا كنت تعتقدين ان بيننا اكثر من الصداقة، فهذا مؤسف حقاً. لم افكر ابداً بأنك لا تثقين بي.

صرخت بغضب وقالت:

- يا لهذا الخطاب الجميل! كنت على وشك ان تعتقد بأنني امضيت النهار مع ماكس. لكنني على الأقل لم اطلب منه ان يسكن هنا معنا.

- ماذا تقصدين بهذا الكلام؟

امسك بمعصميها واضاف يقول:

- بامكاني ان اهزك! هل اكتشفت بأنك تفضلين ماكس؟ هكذا اذن؟

- هل قمت بالاكتشاف نفسه فيما يتعلق بسلمى؟ دعني، انت

تؤلمني!

اجاب بقسوة:

- احب ان اؤلمك بقدر ما تؤلمينني، حتى تصطك اسنانك الصغيرة في رأسك الفارغ. عليك ان تغيري تصرفك قبل ان ابدأ بالفعل والتطبيق. انني مريض بسببك.

دفعها عنه وراحت سابينا تدلك اصابعها المتألمة. يداها ترتجفان. وانهمرت الدموع من عينيها فلم تستطع كبحها بل اضطرت الى ازاحة رأسها كي تخفي بكاءها. وبعد لحظة، كان يمسكها بلطف من كتفيها ويهمس في اذنيها قائلاً:

- اعذريني، يا حبيبتي. حظك سيء في هذه الفترة، وانا مضطر للتغيب كثيراً بينما انت تنتظرين موعد اجراء العملية باضطراب وخوف.

كبتت سابينا قشعريرة مفاجئة واشتعل قلبها بفعل حنانه المفاجيء. تمنت ان يتوقف الزمن نهائياً وهي بين ذراعيه. لكن عندما لمس خدها المشوه، لم تستطع تحمل ذلك، فنظرت اليه وقالت له بأن عليها تغيير ملابسها، وابتعدت عنه ودخلت الى الحمام كالهاربة.

اخذت دوشاً سريعاً، ثم ارتدت ثيابها وتزينت وتعطرت ولما خرجت الى غرفتها، كان ديفيد قد اختفى. نزلت الى الطابق الأسفل، والتفتت الرؤوس الثلاثة باتجاهها. كانت سلمى جذابة بثوبها الأخضر الفاتح، ووجهها المزين باتقان. نظرت الى سابينا بوجه قاتم، ولاحظت اناقتها البسيطة وثوبها الحريري الأبيض وشعرها الذهبي ورشاقة جسمها الممشوق، فابتسمت بسخرية وقالت:

- مرحباً، يا سابينا. آمل ان تكوني قد امضيت نهاراً ممتعاً. انها

رحلة عسل عاقلة مع ان ديفيد دائماً بعيداً عنك.

لكن ديفيد كان محافظاً على مراقبة الوضع. سكب كأساً لسابينا، وتقدم منها ليعطيها الكأس، فجلست وهي تتناولها. كانت تدور في عقلها مختلف الانفعالات المتناقضة. قال ديفيد:

- بدأ الاسمرار يظهر بوضوح على بشرتك. هذا يليق بك كثيراً وبشعرك الاشقر الذهبي.

قال بيل رافعاً كأسه:

- اليس هذا رائعاً؟ نخب صحتك يا سيدة سافلون، الشقراء في الثوب الابيض.

- شكراً. لفتاة مشوهة الوجه، لا بأس بهذا المديح.

ابتسمت سابينا ونظرت الى زوجها الذي رفع كأسه، مسترخياً في مقعده، وسألته:

- هذا رأيك ايضاً، يا عزيزي، اليس كذلك؟

كانت لهجتها حنونة وناعمة، فنظر اليها ديفيد مبغوتاً، رفع حاجبيه وقال بجفاف:

- تعلقين اهمية كبرى على هذه الكدمة.

اعترضت سلمى قائلة:

- وانا؟ هل يجب ان اكون مشوهة الوجه كي تمنحوني انتباهكم؟

قال بيل ساخراً:

- الا تعرفين، يا عزيزتي، ان الرجال يفضلون النساء الشقراوات على السمراوات؟

بدا الذعر في وجه سلمى، فابتسمت سابينا وقالت:

- انه يداعبك.

لكن سلمى، الخالية من روح النكتة، رمقت ديفيد بنظرة

حارقة، وقالت:

ـ انت، يا ديفيد، لا توافق بيل في رأيه حول النساء، اليس كذلك؟ اعتقد بأن الرجال يحبون جميع النساء.

غمز ديفيد زوجته وقال:

ـ انا اخترت الشقراء.

زمّت سلمى شفتيها وقالت:

ـ انت مثل بيل، تحب ان تمزح معي... سابينا صديقتي الوحيدة.

لكن سابينا رفضت الدخول في اللعبة التي خطط لها ديفيد، ليبرهن ان بينه وبين سلمى، لا يوجد شيء. وفوجئت برغبتها الملحة في انهاء هذه السهرة بسرعة. وقررت ان تطلب من ماكس ان يقرب موعد اجراء العملية، كي تتمكن من وضع حد لهذا الوضع الذي لا يحتمل.

لم يتبدل شيء خلال العشاء. سلمى كانت سيدة المائدة ومالكة الحديث، بينما بيل كان صامتاً معظم الوقت. في كل حال، حان لبيل ان يعود الى هلسنكي ورؤية اصدقائه، فقال:

ـ سأعود الى هلسنكي، غداً صباحاً. اصدقائي سيتساءلون عني وسينشغل بالهم عليّ ان لم اقابلهم بسرعة.

هزت سابينا كتفيها، واخذت سحبة من سيكارتها وقالت:

ـ كما تريد. لم ارك كثيراً منذ وصولنا. امضيت النهار كله تصلح سيارتك.

قال ديفيد:

ـ هل عندك مشاكل ميكانيكية، يا بيل؟

ـ نعم. عشية وصولنا، كنت احاول اصلاح المروحة، ولهذا

السبب كانت سلمى وحدها لاستقبالكما. كنت احاول الاستغناء عن ميكانيكي، لأن اجرته باهظة، ولا استطيع تحملها.

وضع ديفيد فنجان قهوته الفارغ على الطاولة وقال:

ـ سألقي نظرة على محرك سيارتك، اذا اردت، ربما في استطاعتي مساعدتك.

خرج الرجلان الى المرآب، فقالت سلمى في الحال:

ـ آه، ارتحت من بيل. انه رجل مملّ. لا اعرف لماذا جئت به معي.

فقالت سابينا باندهاش:

ـ تهيأ لي بان بيل جاء بك الى هنا! لماذا جئت الى هنا، يا سلمى؟ تعرفين ان ذلك لن يعجب والديك. لقد استأجرنا منهما الفيللا، شرط ان نجد فيها حريتنا واستقلالنا.

ـ جئت الى هنا لجلب بعض امتعتي، ومن اجل رؤية ورؤية ديفيد.

ـ لقد حصلت على امتعتك، ورأيتنا، انا وديفيد، وماذا بعد؟

ـ لا تعرفين الى اي درجة انا مشتاقة الى اهلي. فالبقاء هنا يذكرني بهما.

انهت سابينا قهوتها، ولم تصدق لحظة واحدة ان سلمى تشعر بالفراق والحنين، لأنها فتاة انانية ومدللة. فقالت لها سابينا:

ـ الن تكوني اقرب على والديك، لو بقيت عند عمتك في هلسنكي؟ هل هي على علم بمجيئك الى هنا، برفقة بيل؟

اطفأت سلمى سيكارتها في المنفضة بعنف وقالت:

ـ ولماذا تتدخلين بأمور لا تعنيك؟

ـ نحن مسؤولان عنك خلال اقامتك هنا.

- ووجودي هنا لا يفرحك، اليس كذلك؟ انت تغارين مني ومن ديفيد. لكنك لن تستطيعي تفريقنا. الا ترين بانه يجد حججاً للتغيب؟

- لماذا لا تعودين ببساطة الى منزل عمتك؟ واذا كان كلامك صحيحاً، فأنا اكيدة بأن ديفيد سيذهب لرؤيتك اينما تكونين. ما دمت هنا، ليس باستطاعته الاهتمام بك، كما يجب. ليس امامي ولا امام شهود آخرين.

- هل تعنين وجود ايلا وليف؟ لا علاقة لهما لأنهما ليسا سوى خادمين يعملان هنا. اعرف بأنهما لا يحبانني، لكن ذلك لا يهمني.

- لكنك لست فتاة ذكية مثيرة للاهتمام، هل تعرفين ذلك؟

وقبل ان تستعيد سلمى وعيها، كانت سابينا قد نهضت من مكانها وتوجهت الى غرفتها. وراحت تذرع ارضها ذهاباً ايباباً وتلوم نفسها على توترها بسبب فتاة تافهة مثل سلمى. انها التاسعة، وها هي وحيدة في غرفتها. من النافذة، رأت الشمس تلمع في السماء وتضيء البحيرة بهالة ذهبية. اما كان افضل لو تتنزه في الخارج، على ضفاف البحيرة، برفقة ديفيد، وتنهي السهرة بنزهة في السيارة. لكن ديفيد يعمل في اصلاح السيارة، وهي تدور حول نفسها كالضحية.

ظلت جامدة مكانها فترة طويلة تتأمل الشمس الساطعة فوق المياه، واخضرار الغابات والمنازل المنثورة هنا وهناك. كل ما سمعته عن شمس منتصف الليل لا يعادل هذا الجمال الكبير الذي يحبس انفاسها الى هذا الحد. المنظر منغمس كلياً بنور رائع سيستمر طيلة الليل. وفي الضفة الثانية، المطاعم تعج بالناس، بعضهم يسبح وبعضهم الآخر يرقص على انغام الموسيقى الصاخبة والناعمة. اغمضت سابينا عينيها وتخيلت نفسها مندفعة فوق البحيرة،

متحمسة في التجذيف. وامام هذه الفكرة، قررت التحرك وفعل شيء ما.

بدلت فستانها بقميص وسروال ونزلت الى البحيرة. ثم خرجت من الباب الخلفي ولم تصادف احداً. لا شك ان ليف ترك المركب مكانه والوسائد في داخله. قفزت بحماس الى داخل المركب وتناولت المجذافين واندفعت في الماء. فوق المياه الهادئة، النور يتغير بشكل سري، والشمس اصبحت هالة مضيئة تشع فوق البحيرة بجمال رائع.

وبينما كانت سابينا تجذّف، فكرت بالمطعم المكشوف الواقع على الضفة الثانية. لكنها ادركت انه سيكون مكتظاً بالزبائن في هذه الساعة، وقررت ان توقف المركب في مكان هادىء، لشدة رغبتها في البقاء بعيداً عن الناس، قدر المستطاع.

قرب الضفة كان السابحون يداعبون الماء، وبعض الزوارق تندفع في هدوء. اوقفت سابينا مركبها في خليج وربطته الى شجرة، ثم راحت تجول على طول الشاطىء، وفوق كتفيها سترة صوفية بيضاء. ابتعدت عن الضجة وعن المطعم، حتى وصلت الى بقعة مليئة باشجار الصنوبر الكثيفة. وكانت تدوس اكواز الصنوبر العديدة من دون ان تراها. قلقها لم يغادرها، بل يزيد هدوءها تشويشاً. حبها لديفيد ومسؤولياته المهنية وانتظار العملية الجراحية بفارغ صبر، كل هذا يمزق قلبها.

فجأة وجدت نفسها وجهاً لوجه مع رجل طويل يتقدم منها. مثلها يتنزه وحيداً، منغمساً في افكاره وعيناه تحدقان في الأرض، مكشوف الرأس واشعة الشمس تعكس نورها على شعره الأشقر. انتفض قلب سابينا وتقدمت منه لتحييه قائلة:

ـ ماكس! يا لهذه المفاجأة! هل انت وحدك ام والدتك ترافقك؟

امسك بيديها وقال:

ـ يا لهذه الصدفة المفرحة. اين ديفيد؟

ـ جئت وحدي. ديفيد يصلح سيارة احد الضيوف. لقد اجتزت البحيرة وحدي.

قال مندهشاً:

ـ والنهار الذي امضيته بكامله مع والدتي الم يتعبك؟ والدتي الآن تزور احدى صديقاتها.

ـ انا لست متعبة. رفقة والدتك ممتعة، خاصة انها لم تكن منتظرة.

هز ماكس رأسه وقال:

ـ اللامنتظر له احياناً التأثير الأقوى، ويزيد من الافرازات الهورمونية!

حدق ماكس في وجه مريضته. كان شعرها ممشطاً الى خلف، والكدمة ظاهرة على بشرتها الناعمة. اضاف يقول:

ـ سابينا، يجب الا تعرضي بشرتك للشمس لمدة طويلة، وعليك استعمال المرهم الذي وصفته لك. هل تنفذين ما قلته لك؟

ـ نعم. هل علي الانتظار طويلاً لأجراء العملية؟ ام بامكانك ان تجريها في وقت قريب؟

رفع ماكس ذقن المرأة ليتفحص الكدمة عن قرب، ثم اعلن ببطء:

ـ لم يعد هناك سبب للانتظار. لكن، في هذه الفترة، لا استطيع ان آخذ لك موعداً. فجميع الأسرّة محجوزة وكذلك غرف العمليات. في كل حال، دخولك السريع الى المستشفى، سيقطع شهر عسلك، ولا اعتقد بأنكما، ديفيد وانت، تفضلان ذلك.

ابتسم لها، لكن سابينا رأت الحزن في عينيه. وعرفت بأن ماكس ليس سعيداً، فهو مثلها لديه مشاكل. بذلت جهداً لأخفاء خيبتها، بادية عن مظهر العروس السعيدة.

لقاؤها المفاجيء بماكس زعزعها، مع انها كانت ترغب في رؤيته لتحدثه عن العملية. صحيح ان وجوده الناعم قربها الآن اعاد اليها الهدوء والتوازن، لكنها لم تنجح في اقناعه بضرورة الاسراع باجراء العملية. وفي هذه المعمعة من الافكار والهواجس، قبلت سابينا الدخول الى المطعم الذي انبعثت منه ضجة مفرحة.

في الداخل اوركسترا مؤلفة من ثلاثة موسيقيين يعزفون ما طاب من الالحان المحلية والعالمية. سألها ماكس بتهذيب:

ـ هل تحبين ان نرقص؟

القت سابينا نظرة الى سروالها وقالت:

ـ لست في مظهر يسمح بذلك.

لكنها ندمت على ما قالته. اليس هو من قال ان عليها الافادة من نهارات الصيف الطويلة والتمتع بكل ما يروقها. فأضافت تقول:

ـ اذا كانت ملابسي لا تزعجك، فأنا احب الرقص كثيراً.

ابتسمت سابينا ودخلت مع ماكس الى حلبة الرقص. الاوركسترا تعزف معزوفة عاطفية ناعمة، بصورة جيدة، والراقصون يتمايلون على الحانها. نظرت سابينا حولها ولم تعرف اياً من الوجوه حولها. فجأة فوجئت برؤية كيرستي تدخل من الباب الكبير. اشتبكت نظراتهما، فابتسمت لها سابينا لكن كيرستي بدت متضايقة من هذا اللقاء. ولما انتهت الرقصة لاحظت سابينا انها اصبحا قرب الباب، لكن لا اثر للفتاة الفنلندية في اي مكان داخل المطعم. قادها ماكس الى الطاولة في زاوية الشرفة وطلب من الخادم احضار الشراب المحلي

اللطيف. ثم راح يخبرها عن تجربته الطبية وماضيه المهني، ومر الوقت بسرعة، ولم يشعر احد منهما بحلول منتصف الليل.

في طريق العودة، لم تكف سابينا لحظة عن التفكير بكيرستي. اين اختفت؟ المياه تتمايل تحتها وأشعة الشمس تعكس انوارها اللعوبة. العصافير تغط على سطح الماء ثم تطير بفرح. وسابينا تتنشق ملء رئتيها الهواء المعطر برائحة الصنوبر. لدى اقترابها من الفيللا، لمحت دخان المدفأة يتصاعد من قساطل المطبخ، فشعرت بالاستقرار والدفء. لكن مجرد التفكير بسلمى خفق قلبها.

كلما اقتربت من الضفة، ازداد شعورها بالحزن لمجرد التفكير برؤية ديفيد. انها تحبه الى درجة انها تتألم عنه تجاه تصرفها معه. لكن، الم يتزوجها بالرغم من حبه لامرأة اخرى؟ بالنسبة اليها، سلمى فتاة طائشة، مراهقة، تعيش مغامرة عابرة، لكن، بالنسبة الى ديفيد، تبدو سلمى الفتاة التي يحب، والا لماذا لم ينف اذن علاقته بها؟

كان ديفيد ينتظرها على الشاطىء، فساعدها على الخروج من المركب، ثم قال بصوت جاف:

- اين ذهبت اذن؟ بحثت عنك طوال ساعات!

نظرت اليه مفصلاً. كان يرتدي بزة الصيد وعيناه تلمعان كالجمر، وشعره مشعث وآثار الزيوت ما زالت واضحة على جبينه. الظاهر انه لم يغتسل بعد العمل على سيارة بيل.

- لكن، الم تر ان المركب ليس في مكانه؟!

- فقط، بعدما بحثت عنك في كل مكان. لماذا لم تتركي خبراً مع سلمى او ايلا؟

- انا متأسفة. لم اكن انوي البقاء مطولاً. هل وكّلت الآخرين

بمراقبتي؟

- تباً للشيطان. كلا. لو اخبرتهم بأنك لست هنا، وبأنني لا اعرف اين تكونين، لاعتقدوا ان الأمور لا تسير جيداً بيننا. تمضين الليل خارجاً دون اعلام احد، حتى زوجك؟

- لم اكن انوي قضاء السهرة خارجاً.

- كلا؟ تركت سلمى في التاسعة. والآن الساعة تجاوزت منتصف الليل. لندخل، انا بحاجة ان اشرب شيئاً.

رفعت سابينا عينيها الى وجهه القاتم، ولمحت الشحوب حول أنفه. انتفض قلبها وتبعته الى الداخل وقالت وهي تدخل الصالون:

- اعذرني.

ثم التفتت حولها مندهشة وسألته:

- اين سلمى وبيل؟

- ذهبا.

سكب ديفيد كأساً، ثم اسند ظهره الى الجدار وراح يحدق بزوجته، التي قالت:

- ذهبا؟ سلمى ايضاً؟

- نعم. اصلحنا السيارة ولم يعد لبيل سبب للانتظار حتى صباح الغد. لقد انهينا التصليح قبل منتصف الليل بقليل. وقررت سلمى مرافقته في آخر لحظة.

تمسكت سابينا بالكرسي، مذعورة. اذن، لم تكن هي سبب شحوب وجه ديفيد، انما رحيل سلمى. هل تشاجرا؟ قالت سابينا بحمق:

- لم نفتح بعد هدية عرسنا. لقد وعدت سلمى بفتحها في

وجودك.

ـ لدينا متسع من الوقت لذلك. والآن، لو تخبريني اين ذهبت. هل تشاجرت مع سلمى؟

ـ كلا، لكنني رفضت ان امضي السهرة معها. صعدت الى غرفتي، ولما رأيت جمال المنظر في الخارج، قررت الا اسجن نفسي بين اربعة جدران، وذهبت الى البحيرة.

بدا ديفيد غير مصدق لكلامها وقال:

ـ لمدة اربع ساعات؟

ـ كلا، بل تنزهت على الضفة الثانية بعدما اجتزت البحيرة. المنظر كان رائعاً، والناس يرقصون ويتنزهون.

همس بسخرية شيطانية قائلاً:

ـ وبمن التقيت هناك؟ بماكس، طبعاً؟

ـ التقيت بماكس بطريق الصدفة.

فرقع اصابعه بسخرية وقال:

ـ وكان هو يتنزه وحده.

احمر وجهها وهتفت تقول:

ـ انت الأحمق بعينه! اذا استمريت في شتمي والهزء مني، سأصعد الى النوم.

هددها ببريق خطر في عينيه حين قال:

ـ لو كنت مكانك لا افعل ذلك. فسيستمر الحديث فوق، وفي الجو الحميم والنهاية لن تفرحك.

بدأت ترتجف ورجعت خطوة الى الوراء وقالت شارحة:

ـ كان ماكس يتنزه خارج منزله، بعد خروج والدته لزيارة احدى صديقاتها. دعاني الى احتساء القهوة في مطعم مكشوف ورقصنا على

الحان اوركسترا رائعة.

ـ تدهشينني! انت من يتحاشى الضوضاء... وماذا بعد؟

تلألأت عيناه، وجرع كأسه حتى النهاية، ثم وضعه جانباً، ووضع يديه في جيبيه وراح يحدق بزوجته حتى شعرت بالصغر وعدم المقاومة. لكنها قالت:

ـ كان يجب ان ارى ماكس لأحدثه عن العملية الجراحية.

ـ وماذا قال لك؟

ـ سيخبرني بالموعد حين يصبح ذلك ممكناً. في الوقت الحاضر انه متضايق قليلاً من الأعمال الكثيرة المتكدسة.

كانت تشعر بانزعاج لنظرات ديفيد القاتمة والساخرة. وران بينهما صمت طويل. بعد قليل قال ديفيد ببطء:

ـ فهمت، لم تلتق بماكس بالصدفة، اليس كذلك؟ لست بحاجة للذكاء كي افهم بأن ماكس طبيبك ولذلك يبدو مهماً بنظرك. انه شاب لطيف، يريحك وسيمحي الكدمة عن خدك.

ـ ماكس صديق.

احست برغبة في ان تسأله من يكون هو: عشيق ساخر، زوج او انسان غريب كما يبدو عليه في هذه اللحظة. ومجرد النظر اليه، بشعره المشعث ووجهه الوسخ، وبالرغم من عدائيته تجاهها، لفها شعور بالحنان وقالت لنفسها: احبه، ولماذا لا اصرح له بذلك. لكنه، كان على بعد مئات الأميال عنها، ولا شيء باستطاعته ان يحثه على الانفعال.

لكنه انتهى الى القول:

ـ سأذهب واغسل وجهي.

بعد ذهابه ظلت سابينا لمدة، جامدة مكانها، تحاول ان ترى

بوضوح داخل افكارها المضطربة. رأسها وقلبها يعذبانها، لكن يجب الاستمرار. ديفيد ينغلق على نفسه، اكثر واكثر. وهي تغيرت ايضاً. لم تعد الفتاة السعيدة التي ترتمي بين ذراعيه في كل لقاء. هدية سلمى ما زالت على الطاولة، ولم يفتحها احد. مزقت سابينا الغلاف واذا بها امام ساعة حائط ناعمة.

فتحت البطاقة الصغيرة المعلقة على طرف الساعة وقرأت كلمة سلمى التي تقول: «الى ديفيد الذي علّمني ثمن الوقت. بحنان، سلمى».

عندما دخلت الى الغرفة، كل شيء كان هادئاً. ثم خرج ديفيد من الحمام، فقالت له:

ـ هدية سلمى، ساعة حائط للمطبخ.

مدت له البطاقة وظلت ممسكة بالساعة. وبعد قراءة الكلمة، قهقه ضاحكاً، وقال:

ـ على الأقل، اهدتنا شيئاً لا نملكه، اليس كذلك؟

خفضت سابينا نظرها وقالت:

ـ كلا. يبقى ان نرسل لها كلمة شكر.

اجاب بجفاف:

ـ نعم.

توجه نحو غرفة المكتبة، ولدى وصوله قرب الباب، التفت وراءه وقال:

ـ طلبت من زميلين لي المجيء الى العشاء في الثامنة. يجب ان تخططي هذا الأمر مع ايلا.

٧ – ظهور سالي – مي منتون زاد الطين بلة فهذه اخبرتها بما لم يكن في الحسبان وتعاقبت الاحداث بشكل جعلها تغرز شوكة الحزن في قلبها وتخلد الى النوم بلا رفيق.

بعدما انتهت سابينا من كتابة الرسائل لأقاربها واصدقائها، وكلمة لسلمى على هديتها، ذهبت الى المطبخ لتحل مشكلة العشاء مع ايلا. انه عشاء على شرف زملاء ديفيد الذي غادر في الصباح قبل ان تستيقظ من نومها. وكانت تستعد للخروج الى مركز البريد عندما توقفت سيارة امام الفيللا.

المرأة التي ظهرت على عتبة الباب كان عمرها يتراوح بين العشرين والثلاثين، ترتدي فستاناً اخضر مزيناً بالدانتيل الأبيض المطرز. ومنديل باللون نفسه يعقد شعرها العنابي الى الوراء. عيناها الخضراوان تلمعان بصداقة، مدت يدها وقالت:

www.elromancia.com

ـ صباح الخير. انا سالي - مي متتون، وسكيم، زوجي، زميل ديفيد في المشروع الجديد. هل ديفيد هنا الآن؟ لا شك انك سابينا، زوجته.

ـ نعم، بالضبط.

شدت سابينا بدفء على يد المرأة ولاحظت انها تتكلم اللهجة الأميركية، فقالت لها:

ـ حدثني ديفيد عنك، هل تحبين الدخول؟

جلست سالي - مي في الصالون ووضعت حقيبة يدها على البساط قربها. ترددت سابينا مبتسمة، ثم قالت:

ـ هل بامكاني ان اقدم لك شيئاً؟ قهوة؟

ـ كلا، شكراً. انت تماماً كما تخيلتك: صبية، ناعمة وذات انوثة كبيرة. قولي، الا تجدين ان مشروع زوجينا يتطلب منهما البقاء خارج المنزل طويلاً؟ اتساءل احياناً ان كنت متزوجة ام لا!

ـ انا في وضع مماثل.

ـ مسكينة انت! اي شهر عسل هذا؟ اين ديفيد، على فكرة؟ كنت اتوقع ان اراه هنا، قربك، طيلة النهار.

شعرت سابينا بقطرات باردة تسيل على صدغيها. واصيبت بالغثيان وخارت قدماها، فجلست على الكرسي القريب منها. فرمقتها سالي - مي بنظرة سريعة. كانت سابينا ترتدي سروالاً ازرق بلون عينيها. هل لاحظت الكدمة في خدها؟

ـ اعذريني، سيدة سافلون، اخشى الا نستطيع، زوجي وانا، قبول دعوتكما الى العشاء، هذا المساء. سيصل والداي اليوم، انهما يقومان بجولة حول العالم وسيمضيان بضعة ايام معنا. كان باستطاعتي الاتصال بك هاتفياً، لكنني فضلت المجيء شخصياً

للاعتذار منك. لقد وصلتنا منهما برقية صباح اليوم.

ـ ولماذا لا تأتيان مع والديك الى العشاء؟

هزت سالي - مي رأسها بأسف وقالت:

ـ فكرت مع زوجي بهذا الأمر، لكن الرحلة حول العالم مرهقة، ومن الضروري ان يرتاحا وهما بيننا.

وافقت سابينا وقالت:

ـ افهم شعورك. انا آسفة لعدم استطاعتكما المجيء، والا لامضينا معاً وقتاً ممتعاً. ديفيد سيصاب بالخيبة.

ـ آسفة لأنني لم اتعرف عليك من قبل، لكنك جئت الى هنا في رحلة شهر العسل واخشى ان اتدخل في حياتك الخاصة، منذ وصولي ونهاراتي معظمها مشغولة. انا امرأة اليفة واجتماعية ودفتر مواعيدي مليء. سكيم وانا نحب ديفيد كثيراً. انه مهندس ناجح!

ـ هذا لطف منك، سيدة متتون.

ـ ارجوك ان تناديني، سالي - مي، من فضلك. وانا سأناديك سابينا. هذا الطف واصدق.

ـ عظيم. هل تعرفت الى ديفيد خلال زيارته الأخيرة الى فنلندا، مباشرة قبل عرسنا؟

ـ نعم. وتناولنا العشاء معه، ومع السيد والسيدة سومرز اصحاب هذه الفيللا، وذلك قبل مغادرتهما الى الولايات المتحدة الأميركية. هل التقيت بابنتهما سلمى؟ انها مسؤولية كبيرة وضخمة، وانا سعيدة بأن ديفيد يهتم بها خلال غياب والديها.

ـ ديفيد يهتم بها؟

ـ نعم، مررت بزوجي في المكتب والتقيت بسلمى تنتظر ديفيد. بصراحة، يا سابينا، لو كنت مكانك، لرفضت استقبال هذه الفتاة

في منزلي، خاصة بانها على مقربة من مركز عمل زوجك.

نهضت سابينا لتنادي ايلا، ثم قالت:

ـ ارجوك ان تقبلي شراباً منعشاً. او قهوة.

نظرت الزائرة الى ساعة يدها، ثم قالت:

ـ سآخذ فنجان قهوة، من فضلك. لا استطيع التأخر، لأنني سأمر بمكتب زوجي وآخذه الى المزيّن.

اسرعت سابينا الى المطبخ حيث وجدت ايلا تضع الحلوى في صحن من الكريستال، وصينية القهوة جاهزة. حملت سابينا الصينية بنفسها الى الصالون فقالت لها سالي - مي:

ـ من دون سكر وقليل من الحليب، شكراً.

نظرت سالي - مي الى المرأة الانكليزية تسكب القهوة باناقة كبيرة. ثم قدمت الحلوى وجلست تحتسي فنجانها بصمت، فشعرت بارتياح. سألت سالي - مي، وهي تتذوق الحلوى:

ـ هل انت مسرورة بوجودك هنا؟ انا احب هذه الفيللا كثيراً.

ـ وانا ايضاً، كما احب موقعها القريب من البحيرة.

بعد لحظة صمت اضافت سابينا تقول:

ـ هنا، نشعر بالهدوء. لا انا ولا ديفيد نحب الضوضاء.

هزت سالي - مي كتفيها وقالت:

ـ لستما مثلنا اذن. في كل حال، انتما في شهر عسل. الا تجدين شمس منتصف الليل كئيبة؟ لا شك ان فصل الشتاء هنا مرعب بنهاراته القصيرة. نحن امضينا شهر العسل في فلوريدا. بالفعل، اتمنى لكما السعادة التامة.

لا محرك السيارة ولا طرقة الباب ولا وقع الخطوات، نبهت سابينا بوصول ديفيد الذي دخل الى الصالون يرتدي قميصاً صيفياً وسروالاً

خفيفاً وحول عنقه عقد منديلاً حريرياً، وقال:

ـ زيارة! فتاتان جميلتان مجتمعتان! هل بقي شيء من القهوة؟

ـ سأجلب لك فنجاناً.

وبينما كانت سابينا تنهض واقفة، اسرع ديفيد بالقول:

ـ استريحي، لا ضرورة لفنجان آخر. سأحتسي قليلاً من فنجانك.

ابتسم ديفيد للضيفة وقال:

ـ ستأتين مع سكيم الى العشاء، هذا المساء، اليس كذلك؟

انتهت سالي - مي من قهوتها، فوضعت الفنجان الفارغ على الطاولة وقالت:

ـ آسفة، يا ديفيد. جئت الى هنا لاعتذر. يصل والداي اليوم ليرتاحا من جولتهما الطويلة حول العالم. ومن مدة طويلة لم ارهما.

نظرت الى ساعة يدها وذعرت ثم قالت:

ـ يا الهي، علي الذهاب في الحال. والا سينتظرني سكيم، وهو يكره الانتظار.

وبينما كانا يودعان الضيفة، احاط ديفيد بكتف زوجته. وارادت سابينا ان تسأله عن مواعيده مع سلمى، لكنها ادركت فجأة انه سيخبرها اشياء من تأليفه وتلحينه ولن يقول لها الحقيقة.

ولما دخلا الى المنزل، ابعد ديفيد ذراعه وقال:

ـ هل من مشاريع لهذا اليوم؟

ـ لا شيء، الا الذهاب الى مركز البريد لأرسال بعض الرسائل.

ـ هل هذه الرسائل طارئة؟

ـ كلا.

ـ حسناً. ما رأيك بنزهة في البحيرة. هناك، على مسافة قريبة،

بحيرة صغيرة رائعة. سأطلب من ايلا ان تحضر لنا سلة الطعام، بينما تجلبين انت حقيبة البحر.

وبينما جلسا في المركب، ابتسم لها ليف وقال بخجل:

ـ الطقس جميل جداً.

تبادل العروسان بعض المزاح وودعاه، ثم قالت سابينا:

ـ ان ليف رجل لطيف جداً، اليس كذلك؟

قال ديفيد بنظرة ساخرة:

ـ هل هو من طرازك؟ خجول، متواضع ووديع. لن يزعجك بمتطلبات لا تستطيعين تلبيتها.

عضت سابينا على شفتيها وقررت البقاء هادئة. فسألته:

ـ لماذا لم تخبرني من قبل انك لن تعمل اليوم؟

ـ اردت مفاجأتك، ولهذا السبب ذهبت الى البريد في الصباح لأرسال بعض الرسائل الطارئة.

صرخت تقول:

ـ آه، كان بامكانك ان تأخذ رسائلي معك!

ـ لكنني كنت مضطراً ان اصل الى البريد قبل سحب الرسائل من العلبة وتوزيعها.

ولشدة دهشتها فوجئت بالابتسام، اذن لم يذهب خصيصاً لرؤية سلمى. فقال لها:

ـ لمن هذه الابتسامة الحنون، لي او لليف؟

صوت ديفيد قطع حبل افكارها، فأجابته قائلة:

ـ تبدو متذمراً حيال ليف... لا اعرف لماذا لا ترى المرأة الصورة الحقيقية لرجل احلامها عندما تقع في الحب. وتنسى كل افكارها الماضية عندما تلتقي رجل حياتها.

ـ تتكلمين عن الانجذاب الحسي. انتبهي، هذه مصيدة.

ـ ليس اذا كانت ردة الفعل واحدة من الطرفين.

نظر اليها وقال:

ـ الانفجار... هذا ما تقصدينه؟ بالنسبة الي، هذا امر غير وارد.

وامام مرارة ديفيد، انغلقت سابينا على نفسها.

ولما وصلا الى الجزيرة الصغيرة الخضراء المحيطة بشاطىء رملي ابيض، وجداها مكتظة بالمتنزهين. وتدريجاً بدأت سابينا تسترخي وامتلأ قلبها بالغبطة. كم الأمر رائع ان تكون وحدها مع ديفيد، وبعيداً عن الفيللا. هنا هما متحدان مع جمال الطبيعة الناعم، فالماء الساكنة تعكس ظلال اشجار الصنوبر المستقيمة التي تفوح منها رائحة قوية. العصافير تحلق فوق الماء قبل الاختفاء في العشب والاجمات.

حمل ديفيد سلة الطعام والحصيرة ووضعهما في ظل شجرة وارفة، واقترح على زوجته الغطس في الماء والاستحمام قبل تناول طعام الغداء.

كان ديفيد قد اختفى داخل الماء عندما لحقت به سابينا، متجهة نحو الضفة الاخرى، مشمئزة لأنه لم ينتظرها. وخوفاً من افساد النهار، قررت ان تتبعه حول الجزيرة. وبينما كانت تنعطف يساراً احست بألم عنيف في ركبتها اليمنى وقاومت بجهد كبير لئلا تغرق، واستمرت في السباحة حتى وطأت قدماها الأرض الصلبة.

اخيراً وصلت لاهثة الى الشاطىء وتمددت على الرمال الساخنة، ترتجف من الألم. وقبل ان تجلس، تفحصت ركبتها: لا اثر لأي جرح او كدمة. زاحت تدلكها بانتباه. وبعد قليل تمكنت من

تحريكها وشعرت بالارتياح والاطمئنان لكنها فضلت العودة مشياً على الأقدام، بدلاً من اجتياز الجزيرة سباحة، هكذا سيتسنى لها اطلاق العنان لأفكارها.

وطأت سابينا الأرض الرطبة وشعرت فجأة بالسعادة تغمرها. في هذا الاطار الرائع، حيث غناء العصافير رفقة ممتعة، لم يكن هناك مكان للحزن. وتوقفت هنا وهناك لقطف الازهار البيضاء الصغيرة التي كانت تنبت بين الصخور.

اخيراً وصلت الى حيث يرسو المركب. ووجدت سلة الطعام مكانها، تحت الشجرة، لكنها لم تلمح وجود ديفيد. فرشت الحصيرة والشرشف ووضعت الصحون وراحت توزع الطعام مناصفة. في تلك الاثناء خرج ديفيد من الماء ولف جسمه بمنشفة كبيرة، ثم راح يجفف شعره بحماس. فقررت سابينا الا تحدثه عن ركبتها ولا عن نزهتها في الجزيرة، خوفاً من ان ينشغل باله عليها.

بعد الغداء السريع الصامت، تمدد ديفيد واغمض عينيه ونام. ظلت سابينا مدة طويلة جالسة مكانها وعيناها تحدقان بالضفة الثانية. ثم تمددت وغطت في النوم. بعد قليل افاقت على صوت السابحين قربها، فانتصبت جالسة وراحت تراقبهم. تحرك ديفيد وقال:

- ما رأيك لو نسبح من جديد؟

- كما تريد.

وضعت سابينا بقية الطعام في السلة ونهضت. امسكها ديفيد بيدها ودخلا معاً في الماء. كانت يده حارة وقوية واصابعه تضغط بشدة على اصابعها. وبالرغم من حدة الشمس، كانت سابينا ترتجف برداً. بعد قليل، ابعد ديفيد يده عنها فجأة، ومن دون وعي اطلقت صرخة الم عنيفة، ثم تمسكت به محاولة البقاء واقفة. فسألها:

- ماذا جرى؟ هل اصبت بأذى؟

قالت لاهثة:

- ركبتي. سأشعر بتحسن بعد قليل. اظن بأن ركبتي ملتوية.

حملها بين ذراعيه وأعادها الى ظل الشجرة حيث وضعها هناك بنعومة وجلس قربها وراح يتفحص ركبتها. ضغط على صابونة ركبتها قليلاً، وسألها:

- اين تشعرين بالألم؟

اكمل التدليك بلطف واضاف يقول:

- والآن، اخبريني اين حدث لك ذلك؟ ليس الآن، على ما اظن!

نظرت سابينا الى اصابعه السمراء التي تدلك ركبتها وقالت:

- التوت ركبتي بينما كنت اسبح قبل الغداء. تأثرت عندما ذهبت بدوني، فقررت اجتياز البحيرة واللحاق بك. في هذه الأثناء، شعرت بالألم هنا.

- اكملي الحديث بالتفصيل، ارجوك.

- غير انني تمكنت من الوصول الى الضفة، وعدت الى هنا مشياً، وقطفت الازهار في طريقي.

القت سابينا نظرة الى باقة الزهور البيضاء الموضوعة على العشب قربها، لكن ديفيد لم ينظر باتجاهها، بل عض على شفتيه غضباً وقال:

- ولماذا لم تخبريني بذلك قبلاً!؟ ولماذا عدت وقبلت السباحة من جديد؟ كان مفروضاً ان تعرفي بأن ركبتك ستؤلمك ان سبحت من جديد. انت الآن بحاجة الى الراحة. ظاهرياً لا ارى اي اذى في الركبة، لكنني لست طبيباً. سأعيدك الى الفيللا وسأرسل وراء الطبيب ليفحصك.

احتجت قائلة:

ـ لكنني لست بحاجة الى طبيب. قليل من الراحة سيساعد على شفاء ركبتي.

نهض ديفيد من مكانه كأنه لم يسمع شيئاً وقال:

ـ سأرتدي ملابسي.

ولما عاد كانت قد ارتدت فستانها واقفة بانتظاره. اجلسها في المركب ووضع الوسائد وراء ظهرها وتحت ركبتها، ثم عاد ليجلب الحصيرة وسلة الطعام.

خلال طريق العودة سألها ديفيد مراراً اذا ما كانت متألمة فكانت تهز رأسها سلباً في كل مرة. كانت ترغب في الابتسام له والاستسلام لمتطلبات قلبها الحنون، لكنها لم تستطع ان تنسى انه تزوجها، وفي الوقت نفسه يحب امرأة اخرى.

قالت سابينا:

ـ ومن سيأتي الى العشاء في المساء، اورفو وكيرستي فقط؟ بامكاني الاعتذار منهما اذا كنت تفضل ذلك، ما دام سكيم وزوجته لن يأتيا.

ـ ولماذا الاعتذار؟ لم لا تطلبين من ماكس ووالدته الحضور، ما داما غير مرتبطين بشيء آخر.

ـ هذا يعني انك تفضل ان يكون ماكس من يفحص ركبتي.

ـ ولم لا؟ انه طبيب. صحيح ان اختصاصه الجراحة التجميلية، لكنه قبل ذلك درس الطب العام.

ـ لكنني قلت لك انني لست بحاجة الى طبيب. انت وحدك من يصر على ذلك.

لما وصلا الى الفيللا، حملها ديفيد ووضعها على اريكة الصالون،

ثم توجه الى الهاتف للاتصال بماكس. لكن الخادمة اعلمته بأن الجراح ووالدته غائبان. عاد الى الصالون وقال لزوجته:

ـ لا يوجد احد، لكنني تركت لماكس رسالة مع الخادمة. بامكاني ان اتصل بطبيب آخر ليلقي نظرة على ركبتك بسرعة.

ـ ركبتي لا تتطلب مثل هذه الأهمية. اذا لم استطع رؤية ماكس، فلا ضرورة لرؤية احد غيره. ان تلتوي ركبتي امر بسيط للغاية. انا لا اشعر بالألم، وباستطاعتي ان امشي بسهولة.

نهضت سابينا لتبرهن له عن صحة كلامها وظلت واقفة بشكل طبيعي، نظر اليها ديفيد غير مقتنع، ثم قال على مضض:

ـ حسناً. انت على حق. لكنك لن تسبحي بعد الآن من دوني، فهمت؟

وافقت سابينا واخفضت رأسها. نظراته تزعجها. انه يلعب دور الزوج الجيد، وفي الوقت نفسه يلعب دور الرجل الخائن الذي يحب امرأة غير زوجته. فقالت له:

ـ سأذهب الآن للبحث عن ايلا لاطلب منها تحضير عشاء لستة اشخاص، في حال حضر ماكس ووالدته.

هز كتفيه كأن كلامها لا اهمية له وقال:

ـ انا خارج. حضّري نفسك وساعود بسرعة.

في غيابه، اخذت سابينا حماماً ساخناً، ثم ارتدت ثياب السهرة، وفستاناً من الدانتيل الأبيض المطرز. ولما دخل عليها ديفيد، توقف مكانه ليتأمل باعجاب قامتها النحيلة الرائعة وشعرها الحريري الذي يضيء وجهها الجميل، ثم سألها فجأة:

ـ كيف حال ركبتك الآن؟

قالت وهي تلف كتفيها بشال من الدانتيل الوردي:

ـ لا بأس.

الغريب بالأمر ان الجو يصبح مكهرباً بوجود ديفيد قربها. وكل هذا الانفعال من اجل رجل خرج منذ قليل لرؤية عشيقته او الاتصال بها. قال:

ـ جئت في الوقت المناسب لأرافقك الى الصالون، والا لما انتظرت عودتي، اليس كذلك؟ وماذا لو خانتك ركبتك؟

وقبل ان ينهي كلامه، سمعا صوت سيارة تتوقف امام الفيللا. فاقتربت سابينا من النافذة، ومن دون التفات، قالت:

ـ سأنزل، لقد وصل المدعوون.

اجابها بجفاف:

ـ اذهبي. عليك انتظار ماكس، اليس كذلك؟

اغلق ديفيد باب المكتبة وراءه، ففتحت سابينا باب الغرفة ونزلت الى الصالون، حيث ينتظرها اورفو وكيرستي. وما ان تبادلا التحية حتى وصلت سيارة اخرى، خرج منها ماكس وتوجه الى الداخل بسرعة وتقدم من سابينا ليحييها، وقال:

ـ هل جرحت ركبتك، يا سابينا؟ والدتي ذهبت بضعة ايام لتمضية عطلة قصيرة مع اصدقائها، وانا عائد لتوي من المستشفى. هل تريدين ان القي نظرة على ركبتك في الحال؟

ـ آه، لا، بعد العشاء. انت باق معنا، اليس كذلك؟

وقبل ان يرد عليها اضافت تقول وهي تحدق في وجهه الوسيم:

ـ آمل الا اكون قد ازعجتك وعطلت عليك شيئاً اكثر اهمية.

هز رأسه وقال:

ـ ابداً. اتصلت بالمنزل قبل مغادرتي المستشفى وابلغتني الخادمة عن رسالتك. فلم يتسن لي ان امر الى المنزل واغيّر ملابسي.

طمأنته سابينا وهي تلقي نظرة اعجاب على بزته الصيفية الانيقة، وقالت:

ـ تبدو شديد الأناقة. نحن اصبحنا هنا خمسة اشخاص، وكلنا اصدقاء ونعرف بعضنا جيداً. لندخل الى الصالون، ديفيد سيوافينا بعد قليل.

تأبطت سابينا ذراع الجراح وادخلته الى الصالون، متحاشية نظرات كيرستي المحتجة.

وبطلب من سابينا اهتم ماكس بتقديم المشروبات، فتقدم من الأخت واخيها وقال:

ـ كيرستي، اورفو، هذان كأساكما. لم انس ما تحبان.

تناولت كيرستي كأسها بابتسامة مهذبة، بينما كان اورفو متحفظاً.

وقال لسابينا:

ـ الن يأتي سكيم وزوجته؟

ـ لا، للأسف، اعتذرا في آخر لحظة.

وبينما كانت سابينا تتكلم لاحظت ان يد كيرستي ترتجف، ووجهها شاحب ومتقلص. لا شك ان اللقاء بماكس كان تجربة صعبة بالنسبة اليها. آه، كيرستي المسكينة! لم تنس بعد هذه التجربة المحزنة. وماكس؟ وجود خطيبته السابقة ربما لا يؤثر به، او ربما يعرف كبت عواطفه افضل من كيرستي؟

لكن، بالنسبة الى سابينا، كيرستي وماكس انسانان لطيفان، ويليقان ببعضهما، لكن سوء القدر فرقهما. هل هي على حق في دعوة ماكس هذا المساء، بوجود كيرستي هنا؟ لو عرف ديفيد خطتها لما وافق عليها اطلاقاً.

في تلك الأثناء دخل ديفيد بثياب السهرة، وألقى نظرة محببة

ويشوشة على الضيوف، وقال:

ـ مساء الخير، كيرستي واورفو. وانت ايضاً، يا ماكس. اين السيدة هيلتوسن؟

ـ ذهبت لقضاء بضعة ايام مع اصدقائها.

سكب ماكس كأساً لديفيد وراح الرجال الثلاثة يثرثرون معاً، بينما تحدثت سابينا مع كيرستي، وبدأت تقول:

ـ اعذريني، لم اعلمك بقدوم ماكس، لأنني لم اكن اكيدة من حضوره.

نظرت اليها كيرستي بطريقة غريبة وقالت بابتسامة صغيرة:

ـ لا تبالي بالأمر. انا آسفة لما حصل لركبتك. هل تؤلمك؟

ـ من حين الى آخر. ديفيد يبالغ وهو الذي اصر عليّ ان اريها للطبيب. اتصلنا بماكس، الطبيب الوحيد الذي نعرفه، لكنه لم يكن في المنزل.

قالت كيرستي حالمة:

ـ يا لغرابة الظروف! لقد حصل لي الشيء نفسه. منذ يومين التوت ركبتي وانا في الحراسة، بعدما نهضت مسرعة لتلبية نداء احد المرضى. الألم كان موجعاً ولا يطاق لمدة ثانية او ثانيتين. وركبتي اليسرى ما زالت متورمة قليلاً.

ـ وماذا قال لك الطبيب؟

ـ لم اخبر احداً بما حدث. وبعد فترة قصيرة ستشفى ركبتي نهائياً. مثلك، انها لا تؤلمني.

تدخل ديفيد في الحديث وقال:

ـ على ماذا تتآمران؟

قالت سابينا:

ـ نقارن ما حل بركبتينا.

رفع الطبيب الجراح حاجبه وقال بتهذيب:

ـ هل تعانين من الألم نفسه، يا كيرستي؟

احمر وجه الفتاة وقالت:

ـ في ما يتعلق بي، انه امر من دون اهمية.

لم تكن تنظر الى ماكس، بل الى اخيها الذي قال:

ـ لقد لاحظتك تعرجين قليلاً لدى وصولك اليوم.

نظرت كيرستي الى اخيها بغضب واحتجت تقول:

ـ لم اكن اعرج. انا على ما يرام.

في هذه الأثناء دخلت ايلا لتعلن بأن العشاء جاهز. توجه الجميع الى زاوية المائدة وجلسوا حول الطاولة التي تتلألأ بالفضية والكريستال. جلس ديفيد على الطرف وسابينا الى يمينه قرب ماكس. بينما جلست كيرستي واورفو الى يساره.

الطعام نال اعجاب الجميع. نظرت سابينا حولها وادركت ان اورفو هو الانسان السعيد بينهم. كان يأكل بهدوء ويتذوق كل وجبة بفرح كبير. اما كيرستي، فبالكاد رفعت نظرها عن صحنها، الا عندما كانت تتحدث الى اخيها. ولا مرة واحدة خاطرت او نظرت باتجاه ماكس، الذي لم يتوقف عن النظر اليها.

بعد العشاء اقترح ماكس الكشف على ركبة سابينا، بينما راح اورفو وديفيد يتمشيان في الخارج ويتناقشان في المشروع الجديد.

رفعت سابينا تنورة فستانها، فتفحص ماكس ركبتها، على نور الشمس التي تضيء المكان، وجلست كيرستي بصمت قربها، في وضع حرج ومنغلق.

تنحنح الجراح وقال:

www.elromancia.com

ـ همم . . . هم . . . هناك ورم في طرف العضل الخلفي . ليس مهماً، لكنك ستحتاجين الى بعض الراحة والتقليل من المشي والسباحة .

توقف الطبيب عن الكلام مبتسماً لسابينا، ثم اضاف يقول:

ـ لحسن الحظ، باستطاعتك الاخلاد الى الراحة الكافية، بينما كيرستي، مهنتها تتطلب منها الوقوف طيلة النهار.

ابتسم لكيرستي الجالسة قرب سابينا على المقعد الكبير وسألها بلطف:

ـ هل التوت ركبتك انت ايضاً؟

ـ لا شيء يتطلب اي اهمية . . .

ـ لكن اخيك قال بأنك تعرجين، اليس كذلك؟

هزت كيرستي موافقة واضافت تقول بسرعة:

ـ لا سبب لانشغال بالك . وابتداء من اليوم، انا في اجازة مدتها خمسة عشر يوماً، واذا ازعجتني ركبتي، بامكاني ان استريح بقدر ما اريد .

ـ اذن، ركبتك تؤلمك . ومنذ متى حصل ذلك؟

نظرت كيرستي نحو سابينا نظرة استغاثة وقالت:

ـ لم يكن هناك من سبب كي استشير طبيب المستشفى او مجرد التحدث اليه في ما حدث لركبتي .

ـ لكنك تحدثت عن هذا الأمر لسابينا .

ابتسم بسخرية، ثم اضاف يقول:

ـ كفى تمثيلاً، يا كيرستي . انت بحاجة الى فحص سريع لركبتك، ومن ثم تزول مخاوفك، ما رأيك؟

ران صمت قصير قطعته سابينا حين قالت:

ـ نعم، هيا، يا كيرستي . دعي الطبيب يفحص ركبتك . هذا المسكين بحاجة ان يرى شيئاً آخر غير الكدمات والزرع الجلدي . . .

فعلت كيرستي مثل سابينا، فرفعت تنورتها مظهرة عن ساق نحيلة وجذابة . راقبت سابينا ماكس وهو يلقي نظرة لامبالية على مكان الاصابة، ثم يدلك الركبة بمعرفة ونعومة . كان الصمت مزعجاً والموقف متوتراً .

شيء ما يجري بين كيرستي وماكس، اللذان يعرفان بعضهما البعض منذ وقت طويل . وغريزياً عرفت سابينا ان ماكس يعي ذلك وكذلك كيرستي . لكن ما العمل لأعادة هذين الحبيبين الى بعضهما البعض من جديد، من دون ان يتحول وضعهما الى كارثة؟

نظرت سابينا الى ماكس بفضول، فسمعته يقول:

ـ الظاهر ان نزيفاً بسيطاً حصل تحت صابونة الركبة . سأصف لك حبوباً تساعد على شفائه كلياً . وبعد ايام معدودة، ستشفين نهائياً، شرط ان تعالجي نفسك . وبما انك ممرضة، توافقين معي بأن الدواء المأخوذ في حينه، يمنع حدوث الاشتراكات والمضاعفات .

لم ترد كيرستي عليه، بل نظرت نحوه بانفعال خطر، واعتقدت سابينا بأنهما سيقعان في ذراعي بعضهما البعض . لكنها كانت مخطئة، اذ نظر ماكس الى ساعة يده وقال بأسف بانه مضطر للعودة الى منزله . كذلك اورفو وكيرستي لم يمكثا طويلاً بعد رحيله .

قال ديفيد:

ـ لا شك ان الجميع اعتبروا انفسهم متطفلين علينا، لأننا في شهر العسل . يا لهذه الرومنسية الغريبة حول العروسين!

احاط ديفيد كتفي زوجته النحيلتين بذراعه، فشعرت بالغبطة تلفها . ثم سمعته يقول:

- لننزل الى البحيرة، ما رأيك؟ ماذا قال لك ماكس؟

- ورم في طرف العضل. كما وصف لي القليل من الراحة لبضعة ايام.

- وماذا قال لك، فيما يختص بالعملية الجراحية؟

- لا شيء. لم نتحدث عن هذا الموضوع. لماذا؟

- هكذا. طرحت السؤال وهذا كل ما في الأمر. ربما بعد العملية، تصبحين اقل توتراً وعصبية.

- هل تعتقد بأن اعصابك انت ستهدأ ايضاً، بعد العملية؟

- هل انا عصبي؟

ابعد ذراعه عن كتفيها واحاط بها خصرها النحيل. جمال الطبيعة حولهما لا مثيل له. انه مساء مشمس والماء تلمع بصمت تحت السماء الزرقاء، والهواء نقيّ. ولما وصلا الى ضفة البحيرة، بقيا صامتين، بلا حراك. يتأملان المياه التي كانت تشبه كتلة ذهب تذوب. قال ديفيد فجأة:

- الم تخبريني بأن كيرستي وماكس كانا مخطوبين، من زمان؟!

- نعم.

- والم يكن وقحاً ان تدعوهما معاً هذا المساء؟

- انت صاحب الدعوة وليس انا. واذا جاء ماكس الى هنا، فهذا بسببك. كنت مصراً ان يرى الطبيب ركبتي، وانا اخترت ماكس بطبيعة الحال.

- اذن، انها غلطتي انا! لكن، اخبريني ماذا جرى في غيابنا؟ اي عندما كنت مع اورفو خارجاً. كيف كان تصرفه مع كيرستي؟ تصرف صداقة؟

- كرجل مهنة. فحص ركبة الفتاة وقال بأن نزيفاً بسيطاً نتج عن

التواء ركبتها، فنصحها بأخذ دواء وصفه لها وبضرورة الراحة.

ران صمت ثقيل بينهما، قطعه ديفيد بعد قليل حين قال:

- يتهيأ لي بأننا شخصان يثرثران، بانتظار رفع الستارة على مأساة ما يجب متابعتها حتى النهاية. ما رأيك، يا حبيبتي؟ هل تنتهي المسرحية حسناً، ام ان الأدوار وزعت خطأ؟

- كلامك مثير، اليس كذلك؟

- تعالي... من الأفضل ان نعود.

ولما وصلا الى سلم المدخل، تأبط ديفيد ذراع زوجته وقال:

- سأصعد معك، في حال عادت ركبتك الى الألم. كيف تشعرين؟

- باحسن حال.

كانت اعصابها على شفير الهاوية. لم يكن الغضب هو الشعور الذي يملأها ويهدد بالانفجار، انما الحاجة الماسة لأن تشعر بذراعي ديفيد حولها. كبتت شعورها ووضعت يدها على درابزين السلم وصعدت. لما وصلا الى الغرفة، نظر ديفيد نحوها بوجه مضطرب، وقال بجفاف:

- لا تخافي، لا ابغي النوم الآن. لدي عمل بانتظاري تحت. ربما سأمضي يوماً او يومين في هلسنكي مع اورفو وسكيم لنعمل على مشروعنا الجديد. يجب ان تطلبي من كيرستي ان تأتي الى هنا خلال غيابي، ما دامت ستكون وحدها هي ايضاً.

وبأقل من لحظة، كان قد غادر الغرفة. فدخلت سابينا الى غرفتها ببطء تفكر بكلماته. من دون ان يكون معها، كل شيء سيتغير.

اتكأت على الباب واغمضت عينيها. كم من الوقت سيدوم هذا الشك المؤلم؟ تقتلها فكرة احتمال لقائه بسلمى، خلال اقامته في

هلسنكي. بلعت ريقها بمرارة واغرورقت عيناها بالدموع وقررت الاستعداد لدخول الفراش والنوم.

لما قرر ديفيد الايواء الى فراشه، تصنعت سابينا بالنوم، فاقترب من سريرها، لكنه لم يلمسها، بل نظر اليها مطولاً، ثم اجتاز الغرفة من دون ضجة ودخل الى غرفة المكتبة.

٨ - زيارة كيرستي كانت بداية النهاية بالنسبة الى متاعب سابينا مع آثار الحادث، لكنها لم تستطع ان تقول كل شيء لديفيد... لا تعرف لماذا وكيف.

سابينا تحدق بالبحيرة دون ان تراها. تنتظر وصول كيرستي التي ستفرحها بقضاء النهار معها. اورفو يستعد للذهاب مع ديفيد وسكيم لحضور مؤتمر مهم يتعلق بالمشروع الجديد، حيث سيمكث الجميع بضعة ايام.

غادر ديفيد الفيللا في الصباح ورافقته سابينا حتى الباب، حيث عانقها بسرعة وجفاف. ايلا وليف كانا موجودين وتأكدت سابينا ان هذا العناق كان مفتعلاً وشكلياً.

ماء البحيرة هادىء كالزيت، لكن هدوءه لم يؤثر على عقلها المضطرب. كانت ضائعة في افكارها الحزينة عندما سمعت صوت

www.elromancia.com

سيارة واغلاق باب. هل وصلت كيرستي؟

عادت سابينا من دون عجلة الى الفيللا، وفي الطريق كادت ترتطم بسلمى التي قالت:

ـ مرحباً. جئت لأخذ اغراضي من الغرفة. هل تمانعين؟

حدقت بسابينا في وقاحة وسمعتها تقول:

ـ هل جئت وحدك هذه المرة؟

ابتسمت سلمى باشمئزاز وقالت:

ـ هل تقصدين بيل؟ لقد وقع في حبك، وانا حتى الآن اتساءل عن سبب ذلك.

ـ اصبحنا اثنتين. وانا اتساءل ايضاً كيف وقع ديفيد في حبك!

ـ لكن ديفيد انسان خاص، اليس كذلك. كما تعرفين، طلب والداي منه ان يسهر على خلال غيابهما. طبعاً، انت تعارضين ذلك، لأنه زوجك، لكنه ما زال لي، وانا امتلكه.

ـ يا لك من طفلة وقحة، يا سلمى! ديفيد انسان ناضج وواثق من نفسه، ولا اعتقد انك تقولين الحقيقة عن والديك. خذي امتعتك وارحلي، فأنا بامكاني التأكد من ذلك الأمر مع اهلك مباشرة.

ـ سترين، انا من سيحصل على ديفيد في آخر المطاف.

دخلت سابينا الى الفيللا تاركة سلمى ترتجف مذعورة. وما ان اجتازت المدخل حتى سمعت رنين الهاتف. كان ماكس يسألها ان كانت مستعدة للمجيء في الحال الى المستشفى، لتأخذ مكان مريض آخر تعرض لالتهاب خبيث، جعل الاطباء يقررون تأجيل عمليته. اختنق صوت سابينا، لكنها تمكنت من القول بعد لحظة صمت واندهاش:

ـ سأحضر في الحال.

دخلت كيرستي بينما كانت سابينا تقفل السماعة، فقالت لها:

ـ آه، كيرستي! اعرف بأنك في اجازة، لكن هل باستطاعتك ايصالي الى مستشفى هلسنكي في الحال. سيجري لي ماكس العملية. هذا رائع، اليس كذلك؟

شحب لون كيرستي عندما قالت:

ـ انا مسرورة جداً من اجلك. طبعاً سأوصلك. تعالي وسأساعدك على تحضير اغراضك. ثم نتصل بديفيد.

ـ آه، لا. هذا آخر شيء نفعله. فديفيد مرتبط باجتماع مهم، ولا يجب ازعاجه.

تأبطت كيرستي ذراع سابينا وتوجهت بها نحو السلم وقالت:

ـ سأساعدك على اعداد حقيبتك.

وقبل ذهابها الى المستشفى اخبرت سابينا ليف وايلا بأنها ستمضي بضعة ايام مع كيرستي، حتى موعد عودة ديفيد. صحيح ان ما قالته ليس صحيحاً مائة في المائة، لكن كيرستي ستبقى بجانب سرير سابينا في اوقات الزيارات.

وفي المستشفى استقبلوها بحفاوة، فأدخلتها احدى المسؤولات الى غرفة صغيرة وسمحت لكيرستي ان تأتي معها. وصل ماكس وطمأنها ولم يعد هناك امامها مجالاً للهم بعد الآن.

احرزت العملية نجاحاً اكيداً، لكن، عندما جاءت كيرستي لتراها وجدتها شديدة الشحوب. واستعادت سابينا اطمئنانها الداخلي عندما اخبرتها كيرستي بأن ديفيد اتصل هاتفياً ليعلمها بأنه سيبقى اسبوعاً بكامله في هلسنكي مع اورفو.

ـ سيصل ديفيد يوم خروجك من المستشفى.

ابتسمت لها سابينا بلطف وقالت:

- انا مدينة لك بالكثير، يا كيرستي. لطفك ولطف ماكس يغمرانني. لن استطيع ان اشكركما كفاية.

اغرورقت عينا سابينا بالدموع وهي تنظر الى الفاكهة والازهار والحلوى الموضوعة قربها. ثم انتبهت الى وجود كتاب مجلد، فتناولته ورأت الصور الملونة بداخله تتحدث عن فنلندا، فقالت:

- هذا الكتاب جميل جداً. ما كان يجب عليك ان تجلبي لي كل هذا.

- لو كنت مكاني، لفعلت الشيء نفسه. طالعيه الآن، وعندما تتحسن صحتك، بامكانك زيارة جميع الأماكن التي تعجبك في الكتاب. ومهما كانت آلامك قوية فلا يجب ان تؤثر على تعلقك بوطنك.

بعد قليل شعرت سابينا بثقل في جفنيها، فاغمضت عينيها وغطت في نوم عميق. ولما افاقت، كان ماكس الى جانب السرير، فانحنى نحوها مبتسماً وسألها:

- كيف تشعرين؟

- حسناً، شكراً.

وضع الطبيب يده على جبين المريضة، فسألته:

- هل نجحت العملية. قل لي الحقيقة، ارجوك، يا ماكس!

هذه المرة افاقت من البنج جيداً. وهناك امور كثيرة تتعلق بجوابه: سعادة ديفيد وطمأنينتها... ومن دون انتباه كانت يدها المرتجفة تبحث عن يدي ماكس الذي قال لها:

- ستفرحين بالنتيجة، انا متأكد من ذلك. انت في صحة جيدة، وبشرتك نضرة.

ضغط بشدة على يدها كعلامة تشجيع ووقع نظره على الكتاب

الذي اهدته كيرستي لها. وقال ملاحظاً:

- آه، بدأت الزيارات تتوافد.

فتح الكتاب وقرأ باندهاش:

- من كيرستي. ليس من ديفيد اذن؟ الم تعلميه بالعملية؟

عضت سابينا على شفتيها وقالت:

- اريد ان افاجئه. حين سيراني في المرة المقبلة سيعرف. منذ الحادث، لم اكن سهلة في التعامل. لا استطيع ان اعبر لك عن شكري وامتناني على كل ما فعلته من اجلي، يا ماكس.

لم يرد عليها في الحال لأنه ما زال يحدق في الاهداء. ثم رفع نظره وظهر التعب على وجهه وقال:

- تبرهنين لي عن امتنانك باتباع نصائحي والمحافظة على وجهك من دون ادنى حركة، حتى لا يظهر الزرع. متى ستعود كيرستي؟ اريد ان اعرف حالة ركبتها.

- ركبتها... آه... نعم... لقد نسيت. كان عليها ان تستريح بدل المجيء لرؤيتي.

ابتسم الطبيب وقال:

- بعض الحركة تكون احياناً مفيدة. تأتي كيرستي في سيارتها وليست مضطرة للمشي. اذا جاءت تزورك في السهرة، هل بامكانك ان تعلميها بأنني اود رؤيتها في مكتبي قبل رحيلها.

- طبعاً. هل بامكاني الاتصال بديفيد؟

وضع الكتاب في مكانه، وقال:

- سأطلب من المسؤولة هنا ان تحضر لك آلة الهاتف.

ولما اصبح جهاز الهاتف امامها، بقيت تنظر اليه مطولاً قبل ان تجد الشجاعة لاستعماله. اخيراً طلبت الرقم وانتظرت حتى يأتي ديفيد.

بعد قليل سمعته يقول:

- آلو، هذه انت، يا سابينا؟

ارتعشت لدى سماع صوته الخشن، واغرورقت عيناها بالدموع، وادركت كم هي مشتاقة اليه. فأجابت:

- نعم. كيف حالك، هل المؤتمر في تقدم؟

- كما كنت اتوقع. انا في احسن ما يرام، وانت؟

- افضل. اشعر بتحسن.

- هل ذلك بسبب فراقنا، ام بسبب سماعك صوتي.

- طبعاً انه رائع ان اسمع صوتك.

كانت يداها ترتجفان، ولربما تشعر بارتياح لو تخبره اين هي وكم هي مشتاقة اليه، لكن كبرياءها كان مسيطراً على كل الانفعالات.

- لكن افترض انك سعيدة بفراقنا؟ هل شاهدت ماكس، يا ترى؟

- انه مشغول جداً في المستشفى. ركبتي في تحسن.

- هذا رائع. اسمعيني، يجب ان اتركك الآن. هل بامكاني الاتصال بك، في المساء؟

ترددت قبل ان تقول:

- بامكانك الاتصال، اذا اردت، لكنك لن تجدني. سأخرج مع كيرستي. من الافضل ان اتصل بك غداً صباحاً.

- ما دمت في صحة جيدة، فلا سبب كي اشغل بالي. بعد بضعة ايام، ينتهي المؤتمر، ثم سأوصل اورفو الى منزله لأن سيارته معطلة وقيد التصليح.

- سأراك اذن حينذاك.

وبعدما وضعت سابينا السماعة مكانها، شعرت بانقباض في

قلبها: تحدثا وكأنهما صديقان وحسب، وليس كزوجين في شهر العسل.

في المساء جاءت كيرستي، فأخبرتها سابينا عن ماكس الذي يريد ان يراها، فاحمرت الفتاة وغيرت الموضوع قائلة:

- يجب ان تطلبي من ماكس السماح لك بالعودة الى الفيللا في الوقت المناسب، اي قبل عودة ديفيد. ولا ارى انه سيمانع في اعطاء الاذن، اذا وعدته بأنني سأهتم بمراقبتك عن كثب.

- هل تعتقدين بأنه سيوافق على ذلك؟

- سأستشيره بالأمر عندما اذهب لرؤيته. ركبتي في تحسن ملموس، ولم تعد متورمة. الدواء ادى مفعوله والراحة ايضاً.

- لقد نظر ماكس الى الكتاب الذي اهديتني اياه، وتوقف مطولاً عند الاهداء. لكنه كان يبدو متعباً.

- وماذا قال عن خدك. انا لا اشك لحظة بأن عمله متكامل.

- انه ولا ريب انسان رائع. واظن ان الفتيات ينسحرن بوجوده، وهو يثق كلياً بنتيجة العملية، كنت على وشك ان ارتمي بين ذراعيه، عندما اخبرني بذلك.

ضحكت سابينا، ثم اضافت تقول:

- هناك امور كثيرة تعجبني لدى ماكس. انه ليس من الرجال الذين يلاحقون النساء. وهو يثير فيّ الثقة بشكل مستمر. وسيكون زوجاً رائعاً لمن يؤاتيها الحظ في الزواج منه.

ابتسمت كيرستي وقالت:

- هذا لطف منك، يا سابينا، لكنك تضيعين وقتك في محاولة تقريبي من ماكس. ستقلع والدته عينيّ اذا ما اقتربت من ابنها.

شحبت كيرستي وتجهم وجهها، فقالت لها سابينا:

ـ لست مفاجأة بردة فعل انيتا هيلتوسن. لكنك تحبين ماكس كفاية لتناضلي من اجل هذا الحب. في كل حال، انا اكيدة ان ماكس يقف بجانبك.

هزت كيرستي رأسها بحزن وقالت:

ـ لا انوي ان افرقهما. ماكس فخور بأمه، ومن الافضل ان تبقى الأمور على ما هي.

ابتسمت كيرستي واضافت:

ـ الذي يحيرني ان ماكس ضحى بي من اجل اي شيء.

ـ افهمك وقد فعل ديفيد معي الشيء نفسه. لكن هل تعتقدين انك على صواب في التخلي عن كل شيء بهذه السهولة؟

ـ احياناً يجب التخلي عن بعض الأشياء. لكنني لم اعد اجد القوة ان اعيش كل ذلك مرة اخرى.

بعد مغادرة كيرستي، بدأت سابينا تفكر بالكلام الذي قالته في ما يتعلق بماكس: النضال من اجله. لقد قالت لكيرستي ان تفعل ما لم تكن هي تريد ان تفعله: النضال من اجل المحافظة على زوجها!

٩ - يبدو ان الكدمة والعملية كانتا مشكلة سابينا وحدها وديفيد لم يفكر يوماً الا بموضوع واحد: الثقة، فهل تمنحه ثقتها وينتهي الأمر!

بدأت سابينا تعتاد على وجودها في المستشفى حيث عاملها الموظفون باهتمام ومحبة. الطعام جيد والنزهات في الحديقة مسموحة وممتعة.

لكنها شعرت بارتياح كبير عندما سمح لها الطبيب ان تذهب الى منزل كيرستي. ومن هناك كانت تتصل هاتفياً بديفيد، كل صباح.

وبعد بضعة ايام، اتصلت به سابينا من الفيللا، عندما كانت تزور ايلا وليف لتأخذ بعضاً من امتعتها فأجابها مندهشاً:

ـ صوتك متغير، هذا الصباح. هل هذا يعني انك سعيدة؟ هل كنت اذن بحاجة للابتعاد عني؟

ـ ربما انت ايضاً، كنت بحاجة للمكوث بعيداً عني. لكنني اشتقت اليك، يا ديفيد.

حبست انفاسها وهي تنتظر جوابه، فقال لها بعد لحظة صمت:

ـ هذا اقل ما يمكن للمرأة ان تقوله لزوجها في فترة شهر العسل. هل تعتقدين ان بامكان كيرستي ان تقودك في سيارتها الى هلسنكي، فيعود اورفو معها، وتعودين انت معي. فسيارة اورفو ما زالت قيد التصليح.

وضعت سابينا يدها على خدها فوق الضمادات. ليس باستطاعتها مفاجأة ديفيد بنجاح العملية امام كيرستي واورفو، لأنها تفضل ان ترى وحدها ردة فعله. بدأ قلبها ينبض فرحاً وشعرت بحمى واشتياق لرؤيته، وخافت ان تفقد صبرها. وحيال هذا الصمت، قال:

ـ اما زلت على الخط؟

ـ نعم. انا هنا. لكنني افضل ان تأتي انت وتصطحبني من منزل كيرستي.

ـ حسناً، يا حبيبتي، ما دمت تريدين ذلك. لو تأتين، لامضينا معاً بضعة ايام في هلسنكي... لكنني اعرف كم اصبحت شديدة الحساسية بعد الحادث. الى اللقاء.

وضعت سابينا السماعة ويداها ترتجفان وعيناها مغرورقتان بالدموع. ولما سمعت خطوات كيرستي تقترب منها، مسحت الدموع بسرعة. كان يرافقها شاب نحيل، ما ان رأته سابينا حتى اسرعت وارتمت بين ذراعيه. ثم صرخت تقول:

ـ بوب! لماذا لم تعلمني بمجيئك؟

اجهشت في البكاء عندما رأته، فقال ساخراً:

ـ تذرفين الدموع من اجلي؟

قدم لها منديلاً، فمسحت عينيها، ثم ابتسمت وسألته:

ـ وماذا تفعل هنا، يا اخي الحبيب؟

اجاب بفرح وبهجة:

ـ لأنفذ عقداً يتعلق بالتصوير في هلسنكي. لقد وصلت مساء امس.

فجأة توقفت عيناه على خد اخته المضمد وقال:

ـ اخبريني، ماذا جرى للكدمة؟

ـ بالزرع الجلدي اختفت، اليس هذا رائعاً؟

ـ طبعاً. هذا يعني انه بعد عودتك الى لندن، سأختارك موديلاً وآخذ لك بعض الصور، من حين الى آخر؟

غمزها ثم اضاف يقول:

ـ على فكرة، اين ديفيد؟

ـ في هلسنكي، يحضر مؤتمراً. سيأتي في الغد لنعود معاً الى الفيللا. وانت كيف علمت بوجودي هنا؟

ـ بواسطة اشخاص يعرفونك، لكنهم لم يخبروني بالعملية.

ـ لا احد على علم بالأمر، حتى ديفيد بالذات. تغيب بسبب ظروف عمله لمدة اسبوع وانا دخلت المستشفى من دون علم مسبق.

ـ هذا يعني بأن ديفيد يجهل كل شيء عن العملية وعن مكوثك في المستشفى. ألم تخبريه؟

ـ نعم. ستكون مفاجأة له. وانا في ضيافة كيرستي، فهي ممرضة رائعة.

ـ هل هي الفتاة نفسها التي ادخلتني الى هنا؟ آه كم انها جميلة وجذابة. وجهها يليق بالصور تماماً. احب ان التقط لها بعض

اللقطات.

- سأقدمك اليها.

تأبطت سابينا ذراع اخيها وقادته الى الصالون. وجوده قربها يرفع من معنوياتها، منذ الصغر وهما صديقان ومقربان لبعضهما البعض. همومها كلها تبخرت برفقته. فجأة طرأت على رأسها خطة جهنمية وقررت تنفيذها.

فقالت لأخيها:

- بوب، الجراح ماكس هيلتوسن سيمر بي هذا الصباح، واريدك ان تبدو لطيفاً ومحباً مع كيرستي لدى وصوله. افعل ما تراه مناسباً لتجعله يرى كم انت معجب بها. اتفقنا؟

ارتمى بوب على الكرسي، وقطب حاجبيه وقال:

- ماكس هيلتوسن؟ الرجل الأنيق الذي اجرى لك العملية بعد الحادث؟ هل من علاقة بينه وبين كيرستي؟ حدثيني عن هذا الموضوع مفصلاً قبل ان اوافق.

قهقهت سابينا ضاحكة وقالت:

- ماكس انسان رائع، وكيرستي ايضاً. هذا كل ما في الأمر، في الوقت الحاضر. والآن آمل ان تنفذ طلبي الصغير.

وقبل ان تتسنى له الاجابة، ظهرت كيرستي. وفي الوقت نفسه توقفت سيارة امام المنزل، فقالت كيرستي:

- وصلت سيارة، واعتقد انه ماكس. سأترككما على حدة.

قالت سابينا مسرعة:

- لا تذهبي هكذا، اريد ان اقدم لك اخي، بوب. بوب اقدم لك صديقتي كيرستي ميكولا. اخوها اورفو يعمل مع ديفيد.

نهض بوب وامسك يد كيرستي وقال:

- كنت اقول لسابينا منذ قليل بأنك تتمتعين بعينين جميلتين. انا مصوّر، يا كيرستي واحب ان آخذ لك بعض الصور. وجهك يعكس الصورة الجميلة.

- وجهي؟ هل تسخر مني؟

احمرّ وجهها، مندهشة لمديح بوب، عندما لاحظت رجلاً يسد باب المدخل. فقال ماكس بلهجة معسولة:

- هل بامكاني الدخول؟

دخل ماكس، انيقاً كعادته ببزة رمادية وقميص ازرق فاتح. ابتسم للجميع ولم ينس بوب الذي كان يبدو، مقارنة بماكس، صغيراً ونحيلا. نزع بوب يديه من يدي كيرستي ليحيي الطبيب، وقال له ضاغطاً على يده:

- تشرفت بمعرفتك، يا سيد. لقد سبق ورأيتك مرة في لندن، لكنك لا تتذكرني. ادعى بوب فارن، شقيق سابينا. واغتنم هذه الفرصة لأشكرك على العناية الكبيرة التي اوليتها لسابينا، بعد الحادث.

ابتسم ماكس وشد على يد المصور وقال:

- اظن انك اصبحت مشهوراً في عملك كمصور. وانا ايضاً، احاول ان ابذل جهدي في مهنتي اليومية. لكن، لا املك الوقت الكثير، لو تفضلت وقبلت عذري...

اقترب ماكس من سابينا ليتفحص وجهها. بعد قليل، ابتسم وقال:

- الزرع نجح!

ثم وضع مرهماً على خد العروس وسألها:

- كيف حالك؟

ـ هذا رائع، انتهى كل شيء.

لاحظت سابينا ان كيرستي لجأت الى المطبخ لدى حضور ماكس، لكنها لم تستطع معرفة ردة فعل هذا الأخير لدى رؤية بوب وكيرستي، وهما ممسكين بالأيدي. بل كانت تتأمل ان تعصف الغيرة وتحث ماكس على اخذ قرار نهائي حيال علاقته بكيرستي. ذهب ماكس قبل ان تعود كيرستي من المطبخ، فدخلت سابينا لتساعدها، في غياب الخادمة.

وامضت الفتاتان فترة بعد الظهر برفقة بوب الذي قام بتجارب تصويرية لكيرستي، بينما رفضت سابينا ان يأخذ لها صوراً في الوقت الحاضر.

وبينما كان الثلاثة جالسين في الشرفة، قال بوب لأخته:

ـ لقد تغيرت ملامحك واصبحت بالغة الجمال. واذا سمحت لي ان التقط لك بعض الصور، فسوف تصبحين موديلاً مشهوراً في المملكة المتحدة. انت وكيرستي، نوعان رائعان ومتناقضان: شقراء مدهشة وسمراء جميلة.

كانت كيرستي قد دخلت الى المطبخ لجلب المشروبات المنعشة، فقالت سابينا:

ـ لا تنسى انني امرأة متزوجة، وربما كيرستي تصبح متأهلة عما قريب.

عاد بوب الى فندقه في هلسنكي بعد ان استأجر سيارة سيستخدمها خلال اقامته في فنلندا، وبقيت سابينا وكيرستي وحدهما في المساء. حوالى التاسعة اتصل اورفو ليعلم شقيقته عن عودته في صباح الغد. انتهى المؤتمر والمشروع نال نجاحاً وسيباشر التنفيذ ابتداء من الاسبوع المقبل.

اخبر اورفو اخته بأن ديفيد خرج من الفندق ولا يعرف الى اين توجه.

ولما عرفت سابينا بالأمر، وقفت جامدة مكانها. هل ذهب ديفيد لمقابلة بوب اخيها؟ طبعاً لا، ما دام يجهل عنوانه. اذن اين يكون؟ مع سلمى، لتمضية سهرته الأخيرة في هلسنكي معها؟

وفي سريرها، ظلت سابينا تفكر بالأمر، وتنتظر مكالمة هاتفية من ديفيد. التعب يرهقها وهي غير قادرة على النوم. جسمها يرتجف، ليس برداً، بل بسبب فكرة غامضة وهاجس محتمل.

في اليوم التالي، دخلت كيرستي الى غرفة سابينا حاملة كأس عصير فاكهة، والقت نظرة على خد سابينا وهزت رأسها اطمئناناً. ثم جلست قرب سابينا على السرير، ووجهها بشوش، كأنها وجدت لذة جديدة في العيش، بعد لقائها ببوب.

بعد قليل صرحت لسابينا قائلة:

ـ لقد فكرت طوال الليل، بعدما اخبرني اخوك عن حياة الموديل المثيرة. ربما بامكانك انت ايضاً ان تحدثيني عنها؟ منذ مدة وانا افكر في مغادرة البلد والبحث عن عمل في الخارج.

ابتسمت كيرستي بسخرية واضافت تقول:

ـ لم افكر بأنني من النوع الذي باستطاعته القيام بهذه المهنة والعيش حياة مختلفة. انت، نعم، اما انا فلا.

قررت سابينا ان تقول الحقيقة فيما يتعلق ببوب. صحيح انه رجل صادق، لكنه ذهب بعيداً في اقناع كيرستي بالهجرة، هي التي تفضل البقاء هنا من اجل ماكس. سابينا مقتنعة كلياً بأن ماكس وكيرستي ما زالا يحبان بعضهما ومن المستحيل ان تغادر كيرستي هذا البلد من دون ماكس.

قالت كيرستي مبتسمة:

ـ هذا لطف كبير منك، يا سابينا. كلامك يريحني، لكنني ما زلت مصرة على الرحيل من هنا. اورفو ليس بحاجة الي، فلديه خادمة تهتم بأموره. والسفر سيغير افكاري، وليس لدي مشاكل مالية.

انتهت سابينا من احتساء العصير، وقالت:

ـ شكراً، يا كيرستي. هذا العصير طيب جداً. انا لا اتخيلك مسافرة كل حياتك. لست فتاة وصولية، بل انت عاطفية وناعمة.

نهضت كيرستي كأنها تريد وضع حد نهائي لهذا الحديث وقالت:

ـ سأراك، بعد قليل، في وقت الفطور. هل سيأتي ماكس اليوم؟

انحنت كيرستي لتأخذ الصينية، فلاحظت سابينا ان شفتيها ترتجفان، فأجابت:

ـ كلا... اذا اتصل بوب قبل ديفيد في الصباح، سأطلب منه ان يأخذني الى الفيللا. افضل ان اكون هناك لدى عودة زوجي.

دهشت كيرستي وقالت:

ـ اذا كنت تريدين فعلاً الذهاب الى الفيللا اليوم، فبامكاني ان اوصلك في سيارتي. هل اعلمت ماكس بأنك لن تكوني بعد الآن هنا، في منزلي؟

ـ كلا. لكنه لا يسكن بعيداً عنك، ولا شك انه سيتصل هاتفياً قبل المجيء.

شحب وجه كيرستي، فاقترحت تقول:

ـ عليك اذن ان تتصلي به في المستشفى.

وافقت سابينا قائلة:

ـ حسناً، كما تريدين. ومتى تأخذينني الى الفيللا؟ بعد الفطور؟

ـ نعم.

طوال الطريق ظلت كيرستي صامتة. امام باب الفيللا، كانت ايلا وليف في استقبالهما. ولدى رؤية وجه سابينا، اطلقت ايلا صرخة فرح ودهشة وقالت:

ـ آه، اختفت الكدمة؟ الآن، افهم لماذا كانت العملية تقلقك الى هذا الحد. حتى مع الضمادة، وجهك تغير. انها جميلة جداً، اليس كذلك، يا ليف؟

التفتت ايلا نحو زوجها الذي وافق على كلماتها بخجل حين قال:

ـ انها ساحرة الجمال.

ـ شكراً.

قالت سابينا بسرعة، قبل ان تنسى:

ـ ديفيد ليس على علم بالعملية. انها مفاجأة له لدى عودته.

هزت ايلا وليف رأسيهما، ثم دخلا، بعدما حمل ليف حقيبة سابينا. اخفضت كيرستي زجاج نافذة السيارة وقالت:

ـ سأعود الى منزلي الآن. مع ديفيد قربك لن تكوني بحاجة الي، وقريباً سأعود الى ممارسة عملي.

نظرت اليها سابينا بحنان وقالت:

ـ مهما قلت، فلن اتمكن من شكرك كفاية، تجاه ما فعلته من اجلي. واود ان تأتي الى زيارتنا، هنا، غالباً. سيأتي بوب لقضاء بضعة ايام معنا، وسيكون مسروراً جداً ان يراك.

ابتسمت كيرستي وقالت:

ـ اخوك لطيف جداً. هل باستطاعتك ان تقولي له بأنني قررت الذهاب الى انكلترا لأصبح موديلاً؟ قريباً، سأقدم استقالتي من المستشفى.

www.elromancia.com

نظرت سابينا اليها لحظة، مذعورة، ثم قالت لها:

- هل انت اكيدة من ذلك، يا كيرستي؟ الم يعد يجذبك شيء هنا ويحثك على البقاء؟

- لا شيء. لقد انتظرت طويلاً. والآن، اخذت القرار النهائي، وبدأت اشعر بتحسن كبير.

كادت سابينا ان تقول لها بأنها لا تبدو متحسنة، وبأن مظهرها يدعو للخوف. لكنها اجابت بحزن:

- سأعلم بوب بقرارك.

صعدت سابينا الى غرفتها، ودخلت الحمام وبدأت تسرّح شعرها وتفكر بديفيد. اصابتها قشعريرة برد وخوف امام فكرة ان يكون زوجها لم يعد يحبها، او انه لم يحبها ابداً. وبينما كانت تنظر الى نفسها في المرآة ادركت ان ردات فعلها تغيرت بعد اجراء هذه العملية الأخيرة. لم تعد بحاجة للقيام بحركات سريعة لتخبىء الكدمة، ولم تعد تشعر بالألم تجاه حشرية الناس. لكن قبل اي شيء لن ترجع الى الوراء اذا اقترب منها ديفيد ولمس وجهها. صوت وصول سيارة قطع حبل افكارها، فأسرعت للقاء ديفيد، لكن، لم يكن هو، بل ماكس.

- الا تجد مانعاً في عودتي الى هنا يا ماكس؟

- ابداً. انت في رحلة شهر العسل ولقد ابعدتك كثيراً عن ديفيد. في كل حال، الكدمة ختمت ولم اكن بحاجة لأمر بك اليوم.

لكنه تفحص خدها وقال مبتسماً:

- رائع!

قالت سابينا وهي تدخل معه:

- لا استطيع التصديق ان كل شيء انتهى بنجاح. انا شاكرة لك

كل ما فعلته لي. اعرف كم ان وقتك ضيق، لكنك لم تبخل علي به حتى ولو ضحيت بوقت فراغك.

- ولم لا؟ عندما اجريت لك العملية، كنت اكيداً بأن المضاعفات لن تحدث اطلاقاً.

وبعدما كررت شكرها، قال ماكس:

- سأضع ضمادة اخرى صغيرة، وسأذهب في الحال، والا سيطردني ديفيد.

- ديفيد لم يحضر بعد. كيرستي هي التي اوصلتني الى هنا. هل رأيتها؟

- كلا. جاءني خبر وصولك من المستشفى. اين هي؟

- هل تعرف ان اخي عرض عليها عملاً كموديل عند مصور معروف؟ وانها تنوي تقديم استقالتها ومغادرة هذا البلد؟

- صحيح؟

بعد صمت قصير، تبخرت كل آمال سابينا، اذ قال لها ماكس:

- سأذهب الآن الى هلسنكي لأجلب والدتي التي كانت تمضي هناك بعض الوقت عند احدى صديقاتها. خلدك سيتحسن نهائياً عندما نخلع عنه الضمادات. ذلك لأنه بحاجة الى الهواء الطلق. لكن، ليس الآن، في كل حال.

اجبرها على النظر في المرآة ورؤية الجلدة التي حلت مكان الكدمة لكنها لم تكن تفكر الا بكيرستي المسكينة التي لا شك قلبها يتفتت من اجله.

فسألها الطبيب:

- اليس لديك اي ردة فعل؟ الست مسرورة من النتيجة؟

- يا الهي، بلى. هذا رائع. وانا احترمك واحبك.

في هذه اللحظة، فقدت سابينا حياءها، وارتمت بين ذراعيه وطبعت على خده قبلة، وراحت تبكي وتضحك في آن واحد. هل تعلقت به على هذا الشكل كي تمنعه، لا ارادياً، من الذهاب الى هلسنكي وجلب والدته؟ ولأن عودة السيدة هيلتوسن حاجز بينه وبين كيرستي؟

وغريزياً التفتا معاً الى الوراء لرؤية ديفيد على عتبة الباب. رمقهما بنظرة حاذقة وقال:

ـ هل ازعجكما؟

اجابت سابينا بكرامة، بالرغم من خفقات قلبها السريعة:

ـ طبعاً لا.

اقتربت منه، فعانقها بسرعة، ثم تقدم من ماكس وقال:

ـ كيف حالك، يا ماكس؟

تبادل الرجلان بعض الأمور التافهة، ثم غادر ماكس. لم تكن تحلم بمثل هذا اللقاء. يبدو انه مغتاظ، الى درجة انه لم ينتبه الى ما جرى للكدمة.

ـ كم بقي ماكس هنا، معك؟

ـ حوالى العشر دقائق.

ـ آه، لقد قطعت عليه هذه المقابلة.

كان صوته قاسياً والتعب واضح حول عينيه. رؤيته على هذا الشكل احزنت قلبها، فأجابت تقول:

ـ جاء ماكس لتضميد وجهي، ما دمت لم تلاحظ.

انفعالات متعددة عبرت وجه ديفيد: الدهشة، الغضب، ثم القلق. فتقدم من زوجته وامسك ذقنها وادار وجهها الى الضوء وقال بلطف:

ـ انتهى الأمر. هل كانت العملية مؤلمة؟

تلألأت عيناه لطفاً وابتسامة. فاحمر وجه سابينا وهزت رأسها فنظر اليها مطولاً في عمق عينيها، فهمست تقول:

ـ اردت ان افاجئك. هل انت سعيد ان الكدمة اختفت نهائياً؟ لقد تصرفت معك بقسوة، اليس كذلك، لكنني اعدك بأن انسيك كل ذلك.

تقدم منها وعانقها، ثم قال:

ـ هل بامكاننا ان نعوض الوقت الضائع؟ اشك بذلك.

سقط الحاجز من جديد بينهما، فكان ديفيد بارداً وبعيداً، واحتل المرأة هدوء غريب. وبدا صوتها حيادياً، عندما قالت له:

ـ لدي اشياء كثيرة اخبرك عنها، يا ديفيد.

ـ ليس الآن، ارجوك.

تأبط ذراعها واتجه بها نحو السلالم. ثم اغلق باب الغرفة وراءهما وانحنى ليتأمل وجهها، ثم قال:

ـ لقد قام ماكس بعمل رائع. انت جميلة، يا سابينا، هل تعرفين ذلك؟ اجمل بكثير من قبل، تبدين متألقة. لكنني لا اعتقد بأننا نتكلم اللغة ذاتها، انت وانا. سأعود الى هذه النقطة، فيما بعد. اعرف تماماً، بماذا تشعرين. المعجزة التي حصلت دوخت عقلك، واختفى فجأة ذلك التهديد الملح لسعادتك الداخلية. لكن هذا له اهمية مباشرة بالنسبة اليك انت، اكثر من زوجك، او زواجك، او مشاريعنا المشتركة.

رفع يده ليمنعها من الكلام، وقال:

ـ كلا، دعيني اكمل حديثي الآن، هذا العنصر الأساسي في حياتك فقد اليوم اهميته، وعليك ايجاد مراكز اهمية اخرى،

زوجك مثلاً.

ابتعد ليجتاز الغرفة وقال:

ـ المعذرة، يجب ان اغيّر قميصي.

عاد الى الغرفة، رافعاً شعره الى الوراء بأصابعه، وسألها:

ـ هل عندك مشط؟ بقي مشطي في الحقيبة.

اشارت له الى المشط الموجود على طاولة الزينة، ثم جلست على السرير، كالضائعة. كانت ترتجف، ثم فجأة تقلصت وجلست شاحبة اللون، مشدودة الملامح وقالت بصوت ضعيف:

ـ هل بامكاني ان اسألك الى اين انت ذاهب؟

قال وهو يمشط شعره:

ـ انا ذاهب الى المستشفى. وقع لسلمى حادث سيارة، وفقدت وعيها كلياً. وسأبقى قربها حتى تستعيد وعيها.

نهض واقفاً ونظر الى نفسه في المرآة، ثم تأكد من وجود محفظته ووثيقة سفره، وقال لها:

ـ في كل حال، لن اعود في المساء.

ثم تابع قائلاً من دون ان ينظر اليها:

ـ ليست في حالة الكوما، لكنها تحت البنج، لا تكف عن مناداتي، ولذلك سأبقى قرب سريرها حتى تفيق.

بدأ قلب سابينا يخفق بسرعة جنونية، من الخيبة، والغضب والألم. زواجهما بات فاسداً. وشعرت برغبة الارتماء بين ذراعيه، لكنها سيطرت على انفعالها واكتفت بالقول:

ـ اليس هذا مكان والديها؟ هل اعلمتهما بالأمر؟

ـ كلا. لكن لدي اسبابي.

ـ يجب ان تعلم والديها اولاً. من حقهما ان يعرفا بالأمر، قبل اي

عشيق، او انسان آخر، اليس كذلك؟

قال ديفيد بعناد، شارحاً:

ـ سأفعل ما اعتقده صواباً. لا تحدثي احداً عن هذا الحادث. الموقف بيدي. كل شيء سيحصل على ما يرام. ان تثقي بي امر يتطلب منك صعوبة، لكن ذلك مهم بالنسبة اليّ. هل ستفعلين ما طلبته منك؟

ـ ولماذا افعل ذلك؟ لست وحيداً في هذا الكون. انت رجل متزوج. ارجوك، كن صادقاً. هل ستتركني الآن؟

ـ لم يسبق ابداً ان وثقت بي. ولم يعد لدي وقت للثرثرة. بامكانك التفكير في غيابي. وستدركين جيداً ان الأمور بيننا لا يمكن ان تستمر على هذا المنوال.

خرج من الغرفة، وغطت سابينا وجهها بيد مرتجفة. لقد ذهب نحو سلمى. في اي حال هي بالضبط؟ هل ستموت؟ في هذه الحال، ربما يعود ديفيد اليها ويعطيها حظاً ثانياً؟ لكنها لا تريده بهذه الشروط. لقد رحل.

تمددت سابينا على فراشها، ولم تنتحب. لكن جسمها يؤلمها بشدة بالغة. كانت تتمنى ان تموت في الحال.

١٠ ـ الوقت يمضي بسرعة وأحياناً بوطأة خانقة! وما حصل في فترة قصيرة من الوقت أعاد الكثير من المياه الى مجاريها حتى بالنسبة الى ماكس وكيرستي!

لم تتذكر سابينا ما فعلته في ذلك النهار المؤسف، بعد رحيل زوجها الذي سيكون، ربما نهائياً. كل ما تعرفه انها زاولت المكوث في غرفتها، بينما كانت ايلا تجلب لها الطعام الى السرير. الانتظار يسيطر على كيانها. انتظار شفاء وجهها كلياً وانتهاء المعالجة كي تستطيع تنفيذ قرارها بالرحيل.

لم يحضر اخوها بوب ذلك النهار، لكنه اتصل هاتفياً في المساء قائلاً انه سيأتي باكراً في الغد. كما فرح كثيراً عندما اعلمته عن قرار كيرستي بالذهاب الى لندن والعمل كموديل لأحد المصورين.

وفي اليوم التالي وصل ماكس ليطمئن عن تحسن وجه مريضته،

لكنه عندما رأى السواد يحيط بعينيها، قطّب حاجبيه وقال:

ـ آه، لم تنامي. هل تشعرين بالألم؟

ـ كلا. لكنني متوترة نفسياً. لم اتمكن بعد من استيعاب كوني من دون كدمة.

ـ كنت انتظر ردة فعل اخرى من جانبك. اين ديفيد؟

فوجئت بالسؤال، فحاولت ان تبدو هادئة وقالت:

ـ لقد خرج. هل تعرف ان سلمى سومرز في المستشفى نتيجة حادث سيارة؟

ـ نعم. لقد خرجت في الصباح، على ما اظن.

اقفل حقيبة معداته الطبية وأضاف يقول:

ـ اعتقد ان زوجك كان في المستشفى البارحة.

جفّ حلق سابينا، واضطرت للابتسام وقالت:

ـ الظاهر انها كانت تصرّ على النداء بأسمه. فعاد ليراها البارحة مساء.

ادار الطبيب رأسه حالماً، ثم ابتسم لها ابتسامة اطمئنان وقال:

ـ يعتبر نفسه مسؤولاً عنها في غياب والديها. قدمي له من جانبي جميع التهاني للعقد الذي احرزه اخيراً. كما اتمنى لكما متابعة شهر عسلكما بشكل جيد.

ـ متابعة شهر عسلنا؟

ـ على ديفيد ان ينتظر على الأقل ثلاثة اشهر قبل ان يبدأ بتحقيق المشروع، ومن الأفضل لكما ان تمضيا هذه المدة هنا. بعد اسبوع وسيصبح وجهك جديداً، ولن تشعري بالانزعاج والارتباك.

ضحكت سابينا وقالت:

ـ فهمت. شكراً، يا ماكس. سأرافقك حتى الباب.

وبعد ذهاب ماكس، نظرت الى ساعة يدها. بعد ساعة ونصف موعد الغداء. ربما بعض الراحة تجلب لها القوة والعافية. صعدت الى غرفتها وتمددت في فراشها واسترخت حتى زال الم رأسها. ثم نهضت وسرّحت شعرها ونظرت الى نفسها في المرآة ورأت وجهاً شاحباً ومتوتراً. اذا لم يأت بوب، فسيكون عليها تناول الغداء وحدها. لا شك ان ديفيد لن يأتي والا كان اتصل بها هاتفياً.

وبينما كانت تستعد للجلوس امام مائدة الطعام، وصل بوب. فتناول ليف حقائب الشقيق وأخذهما الى غرفة الضيوف. بينما راح بوب يقص على اخته ما فعل مساء البارحة.

ثم نظر حوله وسألها فجأة:

ـ على فكرة، اين ديفيد؟

ـ لقد خرج. لكن كل شيء على ما يرام بالنسبة الى مشروعه. سيضطر الى اخذ راحة طويلة مدتها ثلاثة اشهر قبل البدء في انجازه.

ـ هذا خبر سعيد للغاية. هل ازعجكما اذا بقيت هنا، بضعة ايام؟

نظرت اليه سابينا بحنان وقالت:

ـ اهلاً وسهلاً بك، دائماً. اكمل ما كنت تحدثني به الآن.

ـ آه صحيح. امس، لقد اوصلت زميلاً لي الى المطار الذي كان مزدحماً بالمسافرين، وتهيأ لي انني لمحت ديفيد في الازدحام. لا شك انني كنت مخطئاً، لأنه كان يرافق فتاة جذابة كانت تتأبط ذراعه. وكان يحمل بيده اليسرى حقيبة سفر كبيرة. ومعاً كانا يستعجلان صوب قاعة المسافرين.

امام هذه الكلمات تهيأ لسابينا ان كل شيء حولها يتأرجح. راح العرق يتصبب من صدغيها. فحملت فنجان القهوة وارغمت نفسها على اخذ جرعة منه، لكنها كادت تختنق، فسعلت بقوة. وبسرعة

اقترب منها بوب وأخذ الفنجان من يدها وراح يمسح القهوة عن فستانها. فخبأت وجهها في منديلها، فسألها:

ـ كيف تشعرين الآن؟ هل تحسنت؟

مسحت عينيها المليئتين بالدموع، واستعادت ارادتها. هكذا اذن، ديفيد رحل وانتهى كل شيء بينهما. لم تفكر ان ديفيد جبان الى هذه الدرجة، يهرب لئلا يقول الحقيقة. نظر اليها بوب وقال:

ـ تبدين على وشك الانهيار... لماذا لا تصعدين الى غرفتك وترتاحين قليلاً؟ في كل حال عليك ان تغيّري فستانك الملطخ. وأنا سأحاول تظهير بعض الصور. وهذا سيتطلب مني كل فترة بعض الظهر. هل بامكاني استعمال غرفة السونا، لأنني بحاجة الى الظلام؟

ـ افعل ما تريده. ليف وايلا سيكونان في خدمتك اذا احتجت لشيء.

صعدت سابينا الى غرفتها وغيّرت ملابسها وارتدت قميص النوم وتمددت على السرير. وظلّت على هذه الحال مدة طويلة، عيناها مسمرتان في السقف. اغلقتهما عندما خطر لها ما يمكن ان يحدث الاسبوع المقبل. الغرفة كانت هادئة، فغطت في نوم عميق.

استيقظت من نومها لدى سماعها محرك سيارة. نهضت من السرير وتوجهت الى النافذة، لكنها لم تر سوى سيارة بوب. ما زالت تفكر بديفيد كالمجنونة. ربما جاء ماكس ليضمد خدّها. آه، يجب ان ترتدي ملابسها. وقبل ان تنفذ هدفها، انفتح الباب ودخل شخص ما. شحب وجهها وارتجف فمها وصرخت:

ـ ديفيد!

قال وهو يسند ظهره على الباب، في حالة ارهاق ظاهر:

- نعم، انا ديفيد. شكراً لله، لقد عدت!

احمّر وجه سابينا وخارت قدماها، ثم ارتمت بين ذراعيه. فراح يعانقها بلطف، تركته يفعل دون ان تنتفض بخاصة عندما لامس خدها. زالت العقدة نهائياً! رفع ديفيد رأسه وقال بسخرية:

- يا لهذا الاستقبال!

ثم داعب وجهها هامساً:

- تبدين سريعة العطب.

حملها بين ذراعيه ووضعها على السرير. فكّرت لنفسها: «لا اعرف لماذا عاد... لكن علي ان اشرح له سلوكي، وتبرير موقفي قبل ان اسأله اي شيء».

رفع رأسه نحوها، فتمسكت بيده وقالت:

- ارجوك، يا ديفيد، دعني احدثك لحظة. يجب ان ابوح لك بشيء. أنا احببتك دائماً وأبداً، وكنت اعتقد انك كنت ايضاً تحبني. لكن... الكدمة... لم اكن استطيع تحمل فكرة عناقك ولمسك الكدمة لكنني اعرف الآن ان هذا التفكير كان تافهاً وأحمق. احبك. يا ديفيد. ارجوك صدقني.

كانت الدموع تتلألأ في عينيها، فقال:

- جاء دوري الآن، وسأبدأ من البداية. هل انت مرتاحة هكذا؟

هزت رأسها موافقة، فحملها بين ذراعيه من جديد، وتابع يقول:

- بدأ كل شيء منذ سفرتي الأولى الى هنا. سلمى سومرز استلطفتني، وأنا كنت اعاملها كمراهقة في سن النضوج تتمتع بحشرية المعرفة. لكنني لم اكن اتصوّر انها متقلبة، ولعوبة. كانت تفعل كل ما في استطاعتها كي تجعلني اعاملها مثل امرأة ساحرة،

تبحث عن مغامرة عاطفية.

لثم شعر سابينا، ثم اضاف:

- وعندما غادرت فنلندا خلال رحلتي الأولى، جاءت لتودعني في المطار. كانت تجهش بالبكاء، فشفقت عليها وعانقتها بلطف. كان ذلك خطأ مني. فعانقتني بدورها واضطررت ان اتخلص منها بالقوة. وفي لندن اتصلت بي هاتفياً مرّة أو مرتين، لكنني تصرّفت، كما كنت افعل دائماً، اي كالقريب المهذب.

اصبح صوت ديفيد قاسياً عندما قال:

- ولم اعرف تصرّفها حيال الرجال الاّ في وقت لاحق.

تنحنح قليلاً، ثم تابع يقول:

- لدى وصولنا الى هنا، شعرت بارتياح لأن سلمى في أمان مع عمتها في هلسنكي. لكنني كنت مخطئاً. وفي كل اجتماع اعقده مع اورفو وسكيم، كانت تتبعني وتطاردني. وذات مرة، فقدت برودة اعصابي، وصرخت في وجهها وطلبت منها ان تدعني وشأني، وهددتها بأن اقول كل شيء لوالديها. هذا التوبيخ فعل مفعوله لمدة قصيرة، لكنها انضمت الى شلة من الطلبة، وراحت تغري واحداً بعد الآخر، ومن بينهم بيل، هل تتذكرينه؟

- لكن، لو اخبرتني بذلك من قبل لفهمت كل شيء.

- هل انت اكيدة من ذلك؟ كنت في حالة غريبة بعد الحادث، وكان من واجبي ان انتبه عليك كثيراً.

ضمت وجهه اليها فقال بصوت حزين:

- انا بحاجة الى براهين قوية وملحة لأقنع نفسي بأنك ما تزالين لي.

قبّلت سابينا يده وقالت:

ـ سأجعلك تنسى كل هذا الماضي يا حبيبي.

همس في اذنها قائلاً:

ـ اصدّق كلامك حرفياً. نحن بحاجة الى الكثير من الحب لننقذ انفسنا من هذه المحنة.

ـ لو كنت شجاعاً وأخبرتني عن سلمى، لما وصلنا الى هنا.

ـ لكن، هل كنت تشكين بها منذ البداية؟

لم تجبه فاشتعلت عيناه كالبرق وقال:

ـ هيا، اخبريني بكل شيء. يجب ان نوضح الأمور بيننا بشكل كامل. ماذا جرى؟ هل لعبت سلمى وراء ظهري؟

بدأت سابينا تخبره عن لقائها بسلمى بعد وصولها الى الفيللا. وبينما كان يصغي اليها، كان وجهه يتجهّم تدريجاً، ثم صرخ يقول:

ـ يا لها من انسانة مقيتة! هل تعرفين ماذا فعلت في المستشفى؟ وقع لها حادث سيارة مع بعض الأصدقاء. الجميع اصيبوا بجروح بسيطة. لكن سلمى مثّلت على الممرضات والأطباء بأنها فاقدة الوعي، فخافوا ان تكون اصيبت بنزيف في الدماغ، ولذلك استدعوني. لم تتوقف لحظة عن النداء بأسمي. ولما اكتشف الأطباء الخدعة، لم يعجبهم الأمر كلياً. لكنهم نصحوني ان انتظر قليلاً. منذ البداية كانوا يعتقدون انها ما زالت تحت تأثير الصدمة. لكن في المساء عندما تركتك وذهبت اليها، فهمت اللعبة وتوصلت بمساعدة العاملين في المستشفى أن ندعها تفصح عن خطتها. وفي هذه المرة كدت افقد اعصابي تماماً وشعرت عمتها بانزعاج وتوتر، اما انا فكنت اود ان اخنقها. وبعد حديث طويل بيني وبين العمة، وصلنا الى قرار بأن نرسل سلمى في أول طائرة الى اميركا لتلتحق بوالديها.

ـ ديفيد ايها المسكين... لو فقط كنت اعرف ما يجري...

ـ لا تبدأي من جديد. لن نتحدث عنها بعد الآن. على فكرة، الن يأتي ماكس ليغيّر الضمادات؟

ـ لقد جاء في الصباح. انه انسان لطيف وفعل الكثير من اجلي.

ـ لقد ازال الكدمة، لكن انا احبك بالطريقة نفسها، بكدمة أو من دونها. لم اكف لحظة عن ترديد ذلك، لكنك لم تريدي تصديق كلامي.

ـ يا لهذا المديح اللطيف!

ـ انا لا امدحك، بل اقول الحقيقة. وأنت؟

ـ لقد سبق وقلت لك.

عانقها وقال:

ـ اريد ان اسمع ايضاً.

ـ احبك، يا ديفيد، احبك.

عانقها بلطف وحاول ان يفكّ ازرار قميصها، لكنها احتجت وقالت:

ـ ديفيد، بوب هنا. هل عرفت ذلك؟

ـ هم م...

ـ انه في السونا يظهّر بعض الصوَر في الظلام.

ـ هم م...

ـ ديفيد، الا تسمعني.

كانت تلك الكلمات الأخيرة لسابينا قبل فترة طويلة جداً. الدم يتسارع في عروقها، والشغف رفعها الى اسمى درجات الحب. وبلطف، علّمها ديفيد كل ما يحتويه الزواج من حب وجمال وسعادة.

ولما نزلا لتناول العشاء كان الوقت متأخراً. كانت سابينا ترتدي ثوباً من التول الرمادي الأزرق، وعيناها تلمعان بهجة

وفرحاً. حول عنقها عقد من السافير وفي اذنيها زوج اقراط متناسق. كانت متأبطة ذراع ديفيد الذي قال لها:

ـ اشتريت هذه الأقراط وهذا العقد لأهديك اياها ليلة عرسنا. لكنني وجدت ان اليوم هو الوقت المناسب لأعبّر لك عن حبي.

لم تكن سابينا منهمكة الاّ بسعادتها، لذلك لم تفاجأ برؤية كيرستي وبوب في الصالون. اقترب ديفيد من كيرستي ليسلم عليها وقال:

ـ اشكرك لمجيئك، يا كيرستي، لنجلس، من فضلك.

سكب الشراب، ثم قال:

ـ هناك حدث مهم يجب الاحتفال به. المرحلة الأولى من المشروع قد انتهت، هذا يعني بأن لديّ متسع من الوقت للاهتمام بزوجتي العزيزة.

نظر اليها فاحمرّ وجهها، فقال:

ـ اليست مضيئة.

ابتسم بوب وقال:

ـ كنت على وشك ان اقول الكلام نفسه. سأصعد بسرعة لأجلب آلة التصوير. يجب ان تتذكر دائماً هذه اللحظة السعيدة.

العشاء كان مأدبة احتفالية. وبدت سابينا كأنها تحلق في الأفق، بعيداً، جميلة، مختلفة بتأثير الحب. ديفيد انيق ونشيط اكثر من العادة، ينظر بعينين مليئتين بالفرح. كيرستي، مضطربة قليلاً، تبتسم بلطف في ثوبها الحريري الوردي. بوب الحماسي كان يأكل بشهية كبيرة.

قال بوب:

ـ الم تكن انت ديفيد من رافق فتاة صبية الى المطار، امس؟

ـ بلى هذا انا. لقد اوصلت سلمى سومرز، ابنة صاحب هذه

الفيللا، التي كانت مسافرة الى اميركا للالتحاق بوالديها.

قال بوب مازحاً:

ـ لديها وجه مثير. هل بامكانك ان تعطيني رقم هاتفها؟

ـ كلا، طبعاً لا. انها فتاة وقحة وستوقعك بمشاكل عديدة.

بعد العشاء جلس الجميع في الشرفة مطولاً لاحتساء القهوة وتأمل البحيرة. فجأة، دخلت الخادمة وهمست في اذن ديفيد بأن ضيفاً بانتظاره في الصالون. نهض ديفيد وأمسك بذراع زوجته ورافقها الى الداخل، بعدما اعتذر لضيوفه.

ثم همس في اذن سابينا قائلاً:

ـ جاء ماكس ليضمد الجرح. وبينما يصعد بوب لجلب آلة التصوير، ستبقى كيرستي وحدها في الشرفة، ثم يخرج ماكس الى الشرفة...

لم تفهم سابينا بسرعة كلمات زوجها، لكنها فعلت ما طلبه منها. وبدلاً من ان يتوجها الى الصالون، صعدا الى غرفتها، ونظرا من النافذة المطلة على الشرفة، فشاهدا ماكس بين ذراعي كيرستي في عناق رومانسي.

ابتسم العروسان، فنظرت سابينا الى زوجها متسائلة:

ـ وما هذه الخطة؟

اجابها بتواضع:

ـ تحدثت مع ماكس، لأنني كنت اغار منه.

ـ آه ديفيد، ليس ما تقوله صحيحاً؟ لم تكن غيوراً؟

ـ لا، لا امزح معك يا عزيزتي.

ـ والآن اخبرني عن دورك في هذه الخطة؟

ـ اي خطة؟ انا لم اخطط لشيء. ماكس تصرف بنفسه. كل ما

اعرفه، انه في طريق عودته الى هنا، من هلسنكي، مصطحباً والدته، اخبرها عن استعداده للزواج من كيرستي ويأمل منها ان تكون حاضرة في عرسه.

ـ وماذا كانت ردة فعل السيدة هيلتوسن؟

ـ لم تفرح بالخبر، ورفضت ان تعود الى المنزل، الى حين يستعيد ماكس رشده. اوصلها ماكس الى فندق في العاصمة وعاد ليخطط ما يحصل الآن. دعوت كيرستي الى هنا لتكون رفيقة بوب. وجاء ماكس بحجة تضميد خدك، وكل شيء حدث بعد ذلك عفوياً.

ارتسمت ابتسامة فرح على وجه العروس التي قالت:

ـ هيا بنا اذن لنحتفل بخطوبة ماكس وكيرستي. انا سعيدة من اجلهما، لكن اخاف من السيدة هيلتوسن ان تعكر هذا الفرح مرة اخرى.

ـ لا اعتقد ان ذلك وارد. اخبرني ماكس بأن والدته تحب رجلاً من عمرها، وقد طلب يدها وبانتظار ان تعطيه الجواب.

ـ اذن أفضل حل هو ان توافق على الزواج منه. اما ماكس، فماذا ينوي ان يفعل في الوقت الحاضر؟

ـ سيفعل مثلي، سيأخذ زوجته في رحلة عسل طويلة.

ـ لكننا في شهر عسل، اليس كذلك؟

ـ ليس تماماً. سنذهب الى اليونان، الى بلاد الشمس والحب. سنسبح في مياه البحر الزرقاء، ونرقص معاً في الأماكن المعزولة، وسنقضي ليالي رائعة تحت النجوم وضوء القمر، وسنتناول فطور الصباح معاً. آه، كم احبك... و...

ـ و... وماذا؟

ضحك وقال:

ـ لا تخافي. الكلام الكثير يفسد جلستنا الرومانسية الحالية.

ـ لكننا سنعود الى هنا، اليس كذلك؟

ـ طبعاً. لقد اعجبتني الفيللا التي تقع على مخارج هلسنكي ستحبينها انت ايضاً. انها واسعة وباستطاعتنا استقبال الضيوف وقضاء اوقات رائعة معاً.

لمعت عينا سابينا فرحاً وقالت:

ـ آه، ديفيد، هذا رائع!

ضمها اليه وعانقها، ثم سألها:

ـ هل تحبينني؟!!

www.elromancia.com